عرفه عبده علي

زَهرة المَدائِـن ..

رحلةٌ في الذَاكرة الفوُتوغرافيةِ



الفهرس

تقديم ٥

القدس فى ذاكرة التاريخ ٧

التكوين العمرانى و الحضارى الإسلامى ٣١

روائع فنون العمارة الإسلامية ٣٥

العصور الذهبية للقدس الشريف ٤٢

زهرة المدائن فى عيون مسيحى ومسلم ٦٢

مؤامرة تهويد القدس والصمت العربي والعالمى المريب ! ٧٧

حتى لا ننسى القدس ٩٠

كلمة ليست أخيرة ٩٤

لأجلك يا مدينة الصلاة .. أُصلي

لأجلك يا بهية المساكن

يا زهرة المدائن .. يا قدس

يا مدينة الصلاة .. أُصلي

عيوننا إليك ترحل كل يوم

تدور في أروقة المعابد

تُعانق الكنائس القديمة

وتمسح الحزن عن المساجد

يا ليلة الإسراء .. يا درب من مَروا الى السماء

عيوننا إليك ترحل كل يوم

نزار قبانى

تقديم

عندما فتح السلطان الناصر «صلاح الدين والدنيا» مدينة حلب .. إمتدحه قاضى دمشق «ابن الزكى» بقصيدة ضمنها أمنية غالية ..

وفتحكم حلباً بالسيف فى صفر . • . مبشر بفتوح القدس فى رجب

وتحققت أمنية القاضى الشاعر ودخل «صلاح الدين» القدس الشريف فى ذكرى الإسراء والمعراج يوم الجمعة السابع والعشرون من شهر رجب عام ٥٨٣هـ / ٢٠ أكتوبر ١١٨٧م لترتفع أعلام دولته الإسلامية وحدها فوق أسوار القدس العتيقة .. مدينة السلام ، والتاريخ ، والحزن النبيل ، وبقية الروح الباقية فى تاريخنا وحضارتنا .. مدينة الإستمرارية الفريدة والسحر الخاص ، تجلت فيها حكمة الأنبياء ، ولعبت دوراً هاماً ومؤثراً فى سيرة الأديان السماوية الثلاثة ، وشهدت جبالها ووهادها دعوة المسيح عليه السلام .. وإليها كان الإسراء بخاتم الأنبياء – معجزة الإسلام الكبرى – ومنها كان معراجه إلى السماء ، هى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. إلتقت فيها حضارة العالم ، وشهدت مواكب الملوك والأباطرة والخلفاء والسلاطين ، ومرت بها جيوش الغزاة والفاتحين ، فكان قدرها أن تكون طوال تاريخها ميداناً للحروب وساحة للآلام والصراعات الرهيبة .

وتاريخ المدينة المقدسة : شديد التعقيد ، كثير التداخل حتى ليبدو وكأنه مخطوط قديم بات من المتعذر فك رموزه !.. فموقعها الجغرافى والإستراتيجى ومكانتها الدينية ، كل ذلك ، جعل معظم الأمم تتطلع للإستحواذ عليها ، فحُرمت من أن تكون من «المدن السعيدة» !

والمدينة المقدسة ، تمثل معيار قوة العرب والمسلمين ، فإذا ما أعدنا قراءة التاريخ ، سنجدها مدينة آمنة زاهية فى ظل قوة العرب وإزدهارهم ، ونجدها «أسيرة عاجزة» فى ظل الضعف والإنهيار الحضارى ، وهى قلب قضية العرب والإسلام ، بكل أبعاد المواجهة الحضارية والثقافية والإقتصادية والسياسية والعسكرية مع عدونا التاريخى ..

وأحاول من خلال هذه الصفحات ، أن أستدعى إلى مرفأ الذاكرة «القدس العتيقة» بالكلمة والصورة ، ونرصد معاً وقائع مجدها وعزها القديم من خلال باقة من أندر صور «الغرفة السوداء» .. قبل الحقبة الصهيونية السوداء ، ومعها أصبحت مدينة تسكنها الأفاعى وذاكرتها تفيض دماً ودموعاً ، ومخططات زعماء الصهيونية التلمودية الرهيبة لدفع مسيرة – الحية القرمزية – وإحكام إلتفافها حول العالم ، بدءاً من محو إسم «فلسطين» وإستبداله بـ» قضية الشرق الأوسط» وهو ما وقع فيه الخطاب السياسى العربى وإنساقت إليه جميع وسائل الإعلام العربية ، مثلما إنساقت وراء نشر صورة مسجد «قبة الصخرة» تحت عنوان «الأقصى الأسير» !.. ومخططات زعمائها التوراتية لتهويد القدس العربية وتغيير معالمها بالكامل ، وهو ما يبدو واضحاً فى الصور الحديثة للمدينة وحجم المستوطنات الإسرائيلية التى تحيط بالحرم القدسى الشريف ، دون أدنى إعتبار للتراث الإنسانى الحضارى ، لم أقل لقرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بالقدس !.. وسط صمت عربى وعالمى مريب !

إنها القدس الشريف ، والمدينة العتيقة ، التى ألهمت الأنبياء والشعراء والأدباء والرحالة والفنانين والمصورين .. وهذه الصور المختارة تثبت لحظات زمنية من تاريخ مدينتنا .. باقة متنوعة يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل للمدينة المقدسة .

القدس .. فى ذاكرة التاريخ

ظلت القدس عبر تاريخها الطويل : قبلة مقدسة و مصدر وحى و رمز لطموحات أتباع الأديان السماوية الثلاثة ، و تبرز أحداثها التاريخية فى تعدد أسمائها .. و أقدم إسم لها هو « أوروشاليم « بنسبتها إلى « شالم « إله السلام عند الكنعانيين ، الذين شكلوا مع الأموريين فرعين من مجموعة كبيرة تحركت فى هجرة واحدة نحو غرب الأردن و سيطروا على سواحل البحر المتوسط ثم امتد نفوذهم نحو سوريا شرقاً ، و تشير المصادر التاريخية إلى أنهم أتوا مباشرة من الجزيرة العربية ، و أكدت « التوراة « على التقدم الحضارى الذى وصل إليه الكنعانيون ، حيث شيدوا المعابد الضخمة و القصور الشاهقة و المدن العامرة و أسسوا الحكومات المحلية ، و اتبعوا أساليب أرقى فى الزراعة و الصناعة .. و قد كشفت الأبحاث الأثرية عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب العربى.

و قد وردت بإسم « روشاليموم « فى الكتابات المصرية القديمة التى يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر و الثامن عشر قبل الميلاد ، و كان فراعنة مصر يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها ، بشرط دفع الجزية مع عدم التعرض لمعتقداتهم .. و من بين رسائل « تل العمارنة : ست رسائل بعث بها والى أورشليم « عبد - خيبا « إلى فرعون مصر « امنحتب الثالث « فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، يطلب فيها زيادة عدد أفراد الحامية المصرية ، محذراً من غارات البدو « الخابيرو « أو « العابيرو « .. و استفحال خطرهم على البلاد .

و ورد ذكـر أورشـليم فى التـوراة أكـثر مـن ٦٨٠ مـرة و تلفـظ بالعبريـة « يروشـالايم « و هـى مشـتقة مـن التسـمية الكنعانيـة الأصليـة .. كـما ورد فى التـوراة أسـماء أخـرى أطلقـت عـلى المدينـة ، و هـى : شـاليم ، مدينـة اللـه ، مدينـة القـدس ، مدينـة العـدل ، مدينـة السـلام .. و « يبـوس « و « مدينـة اليبوسـيين « .

القدس تحت حكم اليبوسيين :

نـزح اليبوسـيين – و هـم مـن بطـون العـرب – مـع القبائـل الكنعانيـة حـوالى سـنة ٢٥٠٠ ق.م و احتلـوا التـلال المشرفـة عـلى موقـع المدينـة ، و قـد ورد اسـم « يبـوس « فى اللغـة المصريـة – الهيروغليفيـة – باسـم « يابثـى « و « يابتـى « تحريفـاً للإسـم الكنعـانى ، و شـيد اليبوسـيون قلعـة حصينـة عـلى الرابيـة الجنوبيـة الشرقيـة مـن مدينـة « يبـوس « الإسـم الـذى اطلـق عـلى أورشـاليم فى عهـد اليبوسـيين ، و سـميت القلعـة « حصـن يبـوس « أقـدم بنـاء فى مدينـة القـدس ، و شـيدت حولـه الأسـوار و بـرج عـال للسـيطرة عـلى المنطقـة المحيطـة و حمايتهـا مـن غـارات العبرانيـين .. و قـد عُـرف حصـن يبـوس فيـما بعـد بحصـن « صهيـون « و الجبـل الـذى أقيـم عليـه بـ « جبـل صهيـون « أو هضبـة أوفـل .. و قـد تخـير اليبوسـيون هـذا الموضـع لتمتعـه بميـزات اسـتراتيجية ، فـإلى جـواره شرقـاً ، مـورد للميـاه ، نبـع عُـرف باسـم « جيحـون « و « نبـع العـذراء « بـوادى قـدرون ، و قـد شـقوا نفقـاً بباطـن الجبـل لنقـل ميـاه النبـع إلى داخـل الحصـن .

و بقيـت المدينـة بأيـدى اليبوسـيين خـلال حكـم القضـاه و فى عهـد الملـك « شـاؤول « و لم يسـكنها اليهـود عـلى الإطـلاق حتـى اسـتولى عليهـا الملـك «

داود « عـام ١٠٠٦ ق.م .. أى أنهـا ظلـت تحـت حكـم اليبوسـيين نحـو ثلاثمائـة سـنة ، و يشـير « يوسـيفوس « المـؤرخ اليهـودى إلى أن يبـوس « كان يسـكنها اليبوسـيون أصحابهـا ، الذيـن تفرعـوا عـن الكنعانيـين ، و لما علمـوا برغبة داود الملـك فى الإسـتيلاء عـلى مدينتهـم ، أغلقـوا أبوابهـا و شـددوا الحراسـة عـلى أسـوارها ، فأمـر داود بحصارهـا .. حتـى اسـتولى عـلى الجـزء الجنـوبى بالقـوة ، و فشـل فى اقتحـام القلعـة ، فأعلـن عـن مكافـآت للجنـد ووعـد أول مـن يخـترق الخنـادق أسـفل القلعـة سـيتولى قيـادة الجيـش ، و اسـتطاع « يـوآب « أن يقتحمهـا « .. ثـم خضعـت المدينـة للعبرانيـين ، بعـد أن فشـلوا فى الإسـتيلاء عليهـا فى عهـد « يوشـع « ..

و قـد كشـفت التنقيبـات التـى أجرتهـا الباحثـة البريطانيـة « كاثلـين كينيـون « سـنة ١٩٦١م فى « تلـة أوفـل « بالقـدس عـن بقايـا السـور الـذى شـيده اليبوسـيون عـلى جبـل صهيـون ، و أبـرزت قسـماً مـن أساسـات المبـانى و مجرى الميـاه إلى الحصـن مـن « عـين جيحـون « .

عهد مملكة داود :

لم يسـتطع اليهـود الإسـتيلاء عـلى حصـن صهيـون إلا فى عهـد داود الـذى اتخـذ أورشـليم عاصمـة لـه و اطلـق عـلى الحصـن اسـم « مدينـة داود « . و كان أكـثر سـكان المدينـة فى عهـده مـن اليبوسـيين و الكنعانيـين و العموريـين و الفلسـطينيين . و قـد ازدهـرت المدينـة فى عهـد خليفتـه سـليمان الـذى شـيّد الهيـكل بمسـاعدة المعماريـين الفينيقيـين ، كـما قـام بمـد الأسـوار شـمال قلعـة القـدس ، و تشـير التـوراة إلى أن سـليمان قـام بتشـييد سـور حـول القـدس ، كـما شـيد قـصراً عـلى « تـل أوفيـل « أحاطـه بأسـوار قويـة ، و قـد اكتشـفت بقايـا جـدار جنـوب شـارع الملـك داود عنـد بـاب الأسـباط ، يرجـح « مودسـلى

« العـالم البريطـانى أنهـا جـزء مـن سـور سـليمان ، و قـد حكـم داود و سـليمان معـاً ٧٣ عامـاً تميـزت بعـدم الإسـتقرار و كـثرة الحـروب مـع الفلسـطينيين و الجـيران العـرب !

العصر الآشورى - البابلى :

كان أشـهر حـوادث ذلـك العـصر ، مـا قـام بـه الملـك « شـلومنصر « الآشـورى مـن سـبى اليهـود القاطنـين فى المملكـة الشـمالية و عـلى رأسـهم ملكهـم « يوشـع « و نفيهـم إلى مدينـة « نينـوى « بالعـراق ، و قـام بإرسـال عـدة آلاف مـن الآشـوريين للإسـتيطان فى شـمال فلسـطين .

كـما قـام الملـك « سـنحاريب « بحصـار « أورشـليم « عاصمـة المملكـة الشـمالية سـنة ٧١٣ ق.م ثـم اسـترد المصريـون القـدس .. إلى أن حاصرهـا أشـهر ملـوك بابـل « نبوخـذ نـصر « الثـانى سـنة ٥٩٣ ق.م و أسر ملكهـا « يهوياقيـم « و كل رجالـه و سـباهم إلى بابـل و اسـتولى عـلى خزائنـه و مقتنيـات الهيـكل ثـم أحرقـه ، و يـشرح « التلمـود « سـبب الكارثـة التـى حلـت باليهـود « أنهـا نتيجـة لتعاظـم شر الإسرائليـين أمـام الـرب « !

ثـم حـاصر البابليـون المدينـة مـرة أخـرى سـنة ٥٩٠ ق.م و أسروا ملكهـم « صدقيـا « الـذى سـبق أن عينـه البابليـون , و دمـروا المدينـة و أسـوارها و سـبوا الآلاف مـن اليهـود إلى بابـل .. و يقـرر المؤرخـون أنـه عقـب « السـبى البابـلى « انتهـى الوجـود اليهـودى فى فلسـطين نهائيـاً .. كـما لم نجـد لهـم ذكـر فى كتابات المؤرخـين المعاصريـن لتلـك العصـور .. و تشـير بعـض المصـادر إلى أن « سـليمان « بـكل المجـد الـذى أضفتـه عليـه الأسـاطير اليهوديـة « لم يكـن فى الواقـع إلا

ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة « !

عصر الإمبراطورية الفارسية :

بفضل براعة « الجواسيس اليهود « تغلب الفرس على البابليين ، و قام القائد الفارسى « قورش « بإعادة اليهود عقب فتح المدينة سنة ٥٢٦ ق.م بعد أن قضوا فى اليبى سبعين عاماً ، كما نزح إليها كثير من العرب ، و أعيد بناء ما تهدم من سور المدينة ، إلا أنها ظلت فى حالة يرثى لها .. و انتشر الزواج المختلط كما سادت اللغة الآرامية حتى أصبحت اللغة الرسمية ، و لم تكن الأوضاع الأمنية مستقرة ، و ظلت البلاد عامة تحت الحكم الفارسى إلى أن فتحها « الإسكندر « المقدونى عام ٣٣٢ ق.م . و تأرجحت السيطرة على المدينة فى عهد خلفائه بين البطالمة و السلوقيين . و قد تأثر السكان فى هذا العهد الهلينستى بالحضارة الإغريقية ، و قام الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع حوالى سنة ١٦٥ ق.م بتدمير الهيكل و أرغم اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية . و كانت نتيجة ذلك ان اندلعت ثورة المكابيين و نجح اليهود فى نيل الإستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة ١٣٥ ق.م حتى سنة ٧٦ ق.م .

العصر الرومانى :

فتح القائد الرومانى الشهير « بومبى « مدينة أورشليم عام ٦٣ ق.م و كان أول ولاة المدينة هو « اسكورس « الذى ثار عليه اليهود بعد فترة ، فألغى مجمعهم و هدم السور ، و فى عهد يوليوس قيصر تعاقب عليها عدد من الولاة الخاضعين لروما ، حتى تولاها « هيرودس « الأدومى سنة ٣٧ ق.م الذى حكم لمدة ثلاثة و عشرين عاماً و فى آخر سنة من حكمه

ولـد السـيد المسـيح فى ٢٥ ديسـمبر سـنة ٧٤٩ لتأسـيس رومـا ، فى مدينـة بيـت لحـم ، و شـيد هـيرودس المسـارح و الحمامـات الرومانيـة و أقـام عـدة مبـانى عـلى الطـراز الرومـانى و أعـاد بنـاء سـور المدينـة ، كـما شـيد لنفسـه قـصراً على جبـل صهيـون و أقـام قلعـة كانـت مقـراً للحكـم ... و عجـز أولاد هـيرودس عن إدارة المدينـة المقدسـة بسـبب الطبيعـة العدوانيـة لليهـود ... حتـى أقيمـت محكمـة لليهـود تطبـق القوانـين الرومانيـة ... و فى عهـد الـوالى « بيلاطـس « تم صلـب « المسيح « بعـد أن أعلـن خـراب أورشـليم و تشـتت اليهـود فى العـالم كلـه ، جـزاء مـا اقترفـوا مـن سـيئات فى حقـه و رفضهـم قبـول دعوتـه .. و هـو مـا تحقـق فعـلاً سـنة ٧٠م عندمـا قـام القائـد « تيتـوس « باحتـلال المدينـة و حـرق الهيـكل و فتـك باليهـود ، و عندمـا ثـار اليهـود بقيـادة « باركوخبـا « سـنة ١٣٢م قـام الإمبراطـور « هادريـان « باخـماد ثورتهـم و دمـر المدينـة و شـيد مكانهـا مسـتعمرة رومانيـة يحـرم عـلى اليهـود دخولهـا ، أطلـق عليهـا « إيليـا كابيتولينـا « و لمـا اعتنـق الإمبراطـور « قسـطنطين « المسـيحية سـنة ٣١٣م و اعتمادهـا ديانـة رسـمية أعـاد إلى المدينـة إسـمها « أورشـليم « حيـث قامـت والدتـه « هيلانـه « سـنة ٣٢٦م بزيارتهـا و تشـييد عـدة كنائـس فـوق المغـرة و فـوق القـبر المقـدس و الجلجثـة ، و بـاشرت بنفسـها عمليـة البحـث عـن خشـبة صلـب المسـيح .

فتح العرب للقدس :

حـاصر الجيـش العـربى « ايليـاء» بخمسـة و ثلاثـين ألفـاً مـن الأجنـاد ، بقيـادة : أبـو عبيـدة بـن الجـراح و خالـد بـن الوليـد .. اللذيـن لم يشـاءا فتحهـا عنـوة نظـراً للمكانـة السـامية التـى احتلتهـا المدينـة فى الدعـوة الإسـلامية ، و قـد ورد ذكرهـا فى القـرآن الكريـم و الأحاديـث النبويـة ، كـما كانـت قبلـة

المسـلمين الأولى ، و إليهـا كان إسراء النبـى - صـلى اللـه عليـه وسـلم - و منهـا كان معراجـه إلى السـماء ، و قـد طلـب أبـو عبيـدة بـن الجـراح مـن أمـير المؤمنـين « عمـر بـن الخطـاب « أن يـأتى إلى القـدس .. حيـث أن سـكانها يأبـون تسـليمها إلا بحضـوره بصفـة شـخصية !

البطريرك يطلب إبعاد اليهود عن القدس !

ذهـب عمـر إلى بيـت المقـدس سـنة ١٥هـ/٦٣٦م و أعطـى الأمـان لأهلهـا و تعهـد لهـم بـأن تصـان أرواحهـم و أموالهـم و كنائسـهم و بـأن لا يسـمح لليهـود بالعيـش بينهـم . و رفـض أن يصـلى فى كنيسـة القيامـة لئـلا تتخـذ صلاتـه سـابقة لمـن يـأتى بعـده . و ذهـب إلى موقـع المسـجد الأقـصى فـأزال بيـده مـا كان عـلى الصخـرة مـن أقـذار و بنـى مسـجداً فى الزاويـة الجنوبيـة مـن سـاحة الحـرم، و كتـب الخليفـة عمـر للبطريـرك صفرونيـوس « العهـدة العمريـة « المحفوظـة بالبطريركيـة اليونانيـة الأرثوذكسـية بالقـدس ، تضمنـت الحفـاظ عـلى أمـن المسـيحيين و عقائدهـم و ممتلكاتهـم ، و قـد أشـار « الطـبرى « فى تاريخـه إلى نـص كتـاب عمـر ، مضافـاً إليـه تحفظـاً هامـاً مـن البطريـرك بـضرورة إبعـاد اليهـود عـن القـدس و عـدم السـماح لهـم بالبقـاء فيهـا « بسـبب أعمالهـم الشريـرة ضـد المسـيحيين « !

و قـد وفـد مـع عمـر بـن الخطـاب ، و بعـده ، إلى القـدس عـدد كبـير مـن الصحابـة و التابعـين و أخـذ العنـصر العـربى ينمـو و ينتـشر بسرعـة و عـاد إلى المدينـة طابعهـا العـربى . و تميّـز الحكـم العـربى الإسـلامى بالتسـامح الدينى ، و احتفـظ المسـيحيون بكنائسـهم و بحريـة أداء شـعائرهم الدينيـة ، و كان الخليفـة عمـر قـد أمـر بإنشـاء الدواويـن الحكوميـة و أعـد نظامـاً للإصـلاح

و الإدارة فى الجوانب السياسية و الإقتصادية و العمرانية ، و رتب شئون البريد و الشرطة و القضاء ، و أسس دار الحسبة للإشراف على المكاييل و الموازين و تنظيف الشوارع و الحارات و الإهتمام بأسواق المدينة .. و شدد على رجاله أن يسيروا فى الناس بالعدل .

عصر الدولة الأموية :

عندما خضعت القدس لحكم الخليفة الأموى» معاوية بن سفيان « سنة ٦٤١م اختارها مكاناً لمبايعته خليفة للمسلمين ، نظراً لأهميتها و مكانتها الدينية و التاريخية .. و عين لها « سلام بن قيصر « والياً ، الذى أقام فى محل قصر هيرودس ! .. و قد شهدت القدس فى عهد معاوية نوع من الإزدهار ، حيث قام بترميم و تجديد أسوارها ، و اعتنى ببساتين الكروم و الزيتون .. و عادت القدس مقصداً للتجارة و الزيارة.

و كان أبرز إنجازات عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢٥ – ٨٦ هـ/٦٤٦ – ٧٠٥ م) فيما يخص القدس ، هو بناء قبة الصخرة المشرفة و المسجد الأقصى و هما من أعظم آثار الأمويين فى فلسطين . و يعد مسجد قبة الصخرة فى القدس أول مسجد بُنى فى بلاد الشام ، إذ كان المسلمون يقيمون الصلاة فى مساجد بسيطة . و قد بُنى مسجد قبة الصخرة سنة ٧٢هـ/٦٩١م . و لا صحة للروايات التى تشير إلى أن الخليفة عبد الملك أراد أن يصرف الناس عن الكعبة لكى لا يتأثروا بدعايات ابن الزبير.

أما المسجد الأقصى فهو بالقرب من مسجد قبة الصخرة ، و أوسع منه بكثير . و قد اهتم عبد الملك بن مروان ببناء هذين المسجدين ، و صرف أموالاً كثيرة لزخرفتهما ، و جلب المهندسين و المعماريين من أنحاء

مختلفـة للإسـتعانة بخبرتهـم . و اهتـم خلفـاء بنـى أميـة بهـما مـن حيـث الترميـم و التجديـد و التزيـين . و عبّـد عبـد الملـك بـن مـروان الطـرق الرئيسـة بـين الشـام و القـدس مـن أجـل تسـهيل سـبل الزيـارة لهذيـن المسـجدين .

و لمـا تـولى الوليـد بـن عبـد الملـك الخلافـة ، اهتـم بالقـدس ، و تقبـل بيعـة النـاس فى مسـجد قبـة الصخـرة . و فى روايـة عـن ابـن أبى عيلـة أن الخليفـة الوليـد كان يعطيـه قصـاع الفضـة و يقسّـمها عـلى فقـراء بيـت المقـدس .

و اهتـم سـليمان بـن عبـد الملـك بالقـدس أيضـاً ، فبعـد أن أتتـه « بيعـة الأجنـاد « و هـو فى البلقـاء سـنة ٩٦هــ/٧١٤م جـاء بيـت المقـدس ، فأتتـه الوفـود بالبيعـة ، فلـم يـرد وفـادة كانـت أهنـأ مـن الوفـادة إليـه ... فـكان يجلـس فى قبـة فى صحـن بيـت المقـدس مـما يـلى الصخـرة ... و يبسـط البسـط ، عليهـا النـمارق و الكـراسى و الوسـائد . و إلى جانبـه الأمـوال و كتّـاب الدواويـن . و قـد هـمّ بالإقامـة فى بيـت المقـدس ، و اتخاذهـا منـزلاً ، و جمـع الأمـوال و النـاس فيهـا ، و قـد كان للقـدس منزلـة خاصـة لديـه ، و يُذكـر أنـه هـو الـذى شـيد مدينـة « الرملـة « عندمـا كان واليـاً .

عصر الدولة العباسية :

واصـل خلفـاء الدولـة العباسـية اهتمامهـم بمدينـة القـدس و الإفـادة مـن مركزهـا الدينـى ، و قـد قـام بعضهـم بزيـارة المدينـة المقدسـة : فزارهـا المنصـور مرتـين سـنة ١٤٠هــ/٧٥٨م و سـنة ١٥٥هــ/٧٧١م ، كـما زارهـا المهدى سـنة ١٦٣هــ/٧٨٠م ، و المأمـون سـنة ٢١٥هــ عندمـا أمـر بإضافـة إسـمه عـلى

فسيفساء قبة الصخرة .
و قام الخلفاء العباسيون بترميم و تجديد المسجد الأقصى عدة مرات ، نتيجة الزلازل ، حيث قام المنصور بتجديده بعد أن باع الرقائق الذهبية التى كانت تغشى أبوابه ، ثم أعاد المهدى بنائه عقب حدوث زلزال ، و عندما حدث زلزال ثالث ، أمر الخليفة المأمون بتكليف أمراء الأطراف و القواد بغعادة بنائه ، و اشرف على هذه العمارة قائده « عبد الله بن طاهر « سنة ٢١١هـ .
و فى العصر العباسى ، وصف الرحالة « برنارد الحكيم « القدس و ما حولها فكتب : « إن المسلمين و المسيحيين يعيشون فيها فى تفاهم تام و لأمن العام مستقر « .

عصر الدولتان الطولونية و الأخشيدية :
دخلت القدس و فلسطين تحت حكم الدولة الطولونية خلال السنوات ٢٦٥ - ٢٩٢هـ/٨٧٨ - ٩٠٥م ، و قد شهدت القدس بعض الإضطرابات بين أصحاب الملل ، و فقدت أهميتها السياسية فى ذلك العهد ، و إن ظلت مقصداً لزيارة الحجاج المسيحيين .
ثم حكم الإخشيديون خلال السنوات ٣٢٧ - ٣٥٩هـ/٩٣٩ - ٩٦٩م و تناقص عدد سكان القدس ، و أصبحت الرملة عاصمة لفلسطين ، و فى عهد « كافور « ٩٦٠ - ٩٦٦م قام اليهود بنهب كنيسة صهيون و أحرقوا جزءاً من كنيسة القيامة مما أدى إلى سقوط قبتها .. وقد احتفظت القدس بمكانتها الدينية لدى الحكام الإخشيديون حتى أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها !

عصر الدولة الفاطمية :

عندما فتح الفاطميون القدس سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م قام الخليفة المعز لدين الله بتعيين « أبو اليمن قزمان بن منيا « القبطى والياً على المدينة المقدسة .. و فى عهد « الحاكم بأمر الله « و بالتحديد سنة ١٠١١م انتشرت شائعة بأن القيامة ستقوم فى يوم محدد و توافد على المدينة الجموع الغفيرة من الأوربيين الذين رغبوا فى الموت بجوار « قبر المسيح « .. و مضى ذلك اليوم دون أن يحدث شئ .. فكان أن غضب الحاكم بأمر الله .. و بتحريض من اليهود قام بحملة اضطهاد ضد المسيحيين ، فطرد الأجانب منهم خارج المدينة ، و هدم كنيسة القيامة .. وبتدخل من والدته « ماريا « و أخته « ست الملك « تراجع الحاكم عن مواصلة حملته ، و امر بإعادة إعمار الكنائس و رد أملاك الأديرة .. و قد أحسن معاملة المسيحيين هو و الخلفاء الفاطميون من بعده ، و قد شهد عهد الخليفة الظاهر عقد صلح مع القيصر البيزنطى « رومانوس الثالث « تم بمقتضاه ترميم عدد من الكنائس ، و لم يكد ينتهى من ترميم كنيسة القيامة حتى أصابها زلزال عام ١٠٣٤م فانهارت ، و ظلت كذلك حتى تبرع القيصر « مونوماخوس « بإعادة بنائها ، و كان الزلزال قد أصاب أيضاً قبة الصخرة , حيث أمر الخليفة الظاهر بترميمها .. وكان الخليفة الحاكم قد شيد داراً للعلم لنشر الدعوة الفاطمية و « بيمارستان « كان العلاج فيه مجاناً ، و اتشرت بعض الصناعات اليدوية التى كان لها أسواق خاصة .. و قد أشار « ناصر خسرو « عام ١٠٤٧م إلى إزدهار الحياة الدينية الإسلامية و المسيحية فى القدس .

مملكة بيت المقدس اللاتينية :

تجـدر بدايـة الإشـارة إلى شـهادة المـؤرخ الكبـير « جيبـون « عـن المعاملـة الطيبـة التـى شـملت المسـيحيون خـلال الحكـم العـربى منـذ فتـح مدينـة القـدس حتـى إسـتيلاء الصليبيـين عليهـا ، كـما أكـد عـلى عدالـة العـرب و توفيقهـم فى حسـم الخلافـات بـين المسـيحيين بشـأن الأماكـن المقدسـة .

و قـد تـوج « الفرنجـة « فتوحاتهـم فى بـلاد الشـام باحتـلال القـدس فى يـوم الجمعـة ٢٣ شـعبان ٤٩٢هــ/١٥ يوليـو ١٠٩٩م ، و احتفلـوا بانتصارهـم بارتـكاب مذبحـة رهيبـة خصوصـاً فى منطقـة الحـرم الشريـف . و ذكـر أن عـدد ضحاياهـم بلـغ سـبعين ألفـاً ، الأمـر الـذى يتناقـض تناقضـاً صارخـاً مـع تسـامح عمـر بـن الخطـاب عندمـا دخـل المدينـة . و نهـب الصليبيـون مـا كان فى الصخـرة و الأقـصى مـن كنـوز و وضعـوا صليبـاً عـلى قبـة الصخـرة و حولـوا الأقـصى إلى مقـر لفرسـان « الدوريـة « و جعلـوا القـدس عاصمـة لمملكتهـم اللاتينيـة و نصّبـوا بطريـركاً لاتينيـاً للمدينـة بـدلاً مـن البطريـرك الأرثوذكـسى . و أقـام الفرنجـة عـدداً مـن المبـانى الدينيـة الجديـدة و عمّـروا كنيسـة القيامـة و كنيسـة القديسـة حنـة و غيرهـما ، و أقامـوا نـزلاً يتسـع لألـف شـخص مـن الحجـاج المسـيحيين القادمـين مـن الخـارج .

و كان الفرنجـة قـد فقـدوا زعيمهـم الروحـى « أدهـمار « المنـدوب البابـوى قبـل وصولهـم القـدس ، و كان مـن الممكـن أن يتـولى « أدهـمار « دولـة دينيـة كنسـية ، و لكـن فكـرة إقامـة حكومـة دينيـة فى القـدس اسـتبعدت و تـم الإتفـاق عـلى اختيـار رئيـس « علـمانى « لهـا هـو الأمـير غودفـرى دى بويـون (جوفـرى أو جفـرى عنـد المؤرخـين العـرب) . ففـرض غودفـرى أولا

و لكنهـم أجـبروه عـلى القبـول فى ٢٩ شـعبان ٤٩٢هــ/٢٢ تمـوز ١٠٩٩م . و لم يقبـل غودفـرى حمـل لقـب ملـك بيـت المقـدس بـل اكتفـى بلقـب « حامـى القـبر المقـدس ، او حامـى بيـت المقـدس « . و هـذا يعنـى أن الدولـة الجديـدة ليسـت لهـا صفـة سياسـية بحـت ، بـل إنهـا جعلـت للكنيسـة حـق الإشراف عليهـا . و بقيـت هـذه الحـال حتـى وفـاة غودفـرى فى ٢٤ رمضـان ٤٩٣هــ/١٨ تمـوز ١١٠٠م . و لم يلبـث أن غلفـت شـخصيته أسـطورة تنسـب إليـه دوراً حاسـماً فى تأسـيس المملكـة اللاتينيـة فى الـشرق !

كانـت مقاومـة الوجـود الفرنجـى فى فلسـطين شـديدة و قـد اتصفـت سياسـة الفرنـج تجـاه سـكان فلسـطين العـرب بالإرهـاب و بلغـت المقاومـة العربيـة أوجهـا عندمـا سـيطرت عـلى الطريـق الواقـع بـين الرملـة و بيـت المقـدس . و قـد عـبّر المـؤرخ اللاتينـى وليـم الصـورى عـن هـذه المقاومة الشـعبية قائـلاً : « كانـت البـلاد مليئـة بالعصابـات ، و مـن جـرّاء ذلـك اصبـح الطريـق بـين الرملة و القـدس محفوفـاً بالمخاطـر . و قـد هاجـم بغدويـن الأول سـكان المناطـق المجـاورة للقـدس و الرملـة و عاقبهـم دون رحمـة « . و بقيـت المقاومـة الشـعبية متأججـة فى فلسـطين . فسـكان القـرى الفلسـطينية الذيـن أطلـق عليهـم وليـم الصـورى اسـم « المسـتوطنين القرويـين « كانـوا يعـبّرون خـير تعبـير عـن مقاومـة المحتـل المغتصـب و رفـض الوجـود الفرنجـى فى بلادهـم . فقـد انضـم هـؤلاء إلى كتائـب المسـلمين فى بـلاد الشـام و كانـوا عـلى صـلات قويـة بهـم يسـاعدونهم و يعملـون أدلاء لقواتهـم عندمـا تدخـل فلسـطين .

و بعـد أن أحكـم الفرنـج السـيطرة عـلى فلسـطين و جنـوب شرقـى الأردن بـدأوا ينظمـون أمورهـم الداخليـة . و كانـت المشـكلة السـكانية (الديموغرافية

) هـى المعضلـة الأولى . فالفرنـج كانـوا قلـة لأن عـدداً منهـم عـاد إلى بـلاده بعـد احتـلال بيـت المقـدس عـلى حـين فضـل قسـم منهـم البقـاء فى فلسـطين . و هـؤلاء هـم مـلاك الأراضى و الإقطاعيـون و المحاربـون . و امـا أهالى فلسـطين العـرب فقـد هجـروا قراهـم السـاحلية و اتجهـوا إلى المناطـق الداخليـة الجبلية أو غـادروا فلسـطين إلى منطقـة شرقـى الأردن او دمشـق . و أدى ذلـك إلى تعطيـل الزراعـة فى السـاحل . و قـد أفـرغ الفرنجـة المـدن السـاحلية مـن سـكانها العـرب كـما حـدث فى صيـدا و صـور و عـكا و حيفـا و يافـا و أرسـوف و قيسـارية و غيرهـا . و فى القـدس قتلـوا معظـم السـكان العـرب ، حتـى ان وليـم الصـورى قـال : « فالوثنيـون (المسـلمون) الذيـن كانـوا يعيشـون فى المدينـة فى ذلـك الوقـت قتلـوا حتـى آخـر رجـل ، و إن هـرب شـخص و نجـا لم يسـمح لـه بالبقـاء فى المدينـة ، إذ أن السـماح لشـخص غـير مسـيحى بالسـكنى فى تلـك المدينـة يعنـى تدنيـس المقدسـات « ! ، ثـم يسـتطرد قائـلاً : « إن المواطنـين فى القـدس كانـوا قليـلى العـدد حتـى إنهـم ، بصعوبـة ، يمـلأون شـارعاً واحـداً « !

إزاء هـذه المعضلـة السـكانية فى مملكـة القـدس ، و عـلى الأخـص فى بيـت المقـدس و السـاحل ، عمـل الفرنـج عـلى تشـجيع الهجـرة إلى فلسـطين مـن المناطـق المجـاورة ، و لا سـيما إلى القـدس . فهجّـروا سـكان وادى مـوسى النصـارى إلى القـدس بالترهيـب و الترغيـب ، كـما شـجعوا هجـرة النصـارى مـن عـمان و الصلـت و البلقـاء إلى القـدس و أسـكنوهم فى حـى خـاص أطلـق عليـه حـى الشـارقة .

تعاقـب عـلى عـرش مملكة اللاتين كل مـن بغدوين الثـانى (ت ٥٢٤هـ/١١٣١م

) ، و فولك الأنجوى (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) الذى أكمل سوار التحصينات حول مملكة القدس و توسع فى منطقة مآب فأعاد بناء قلعة الكرك (٥٣٧هـ/١١٤٣م) و نقل إليها مركز البارونية من الشوبك . و بعد وفاته تسلم عرش المملكة ابنه بغدوين الثالث . و فى عهده بدأت اليقظة العربية الإسلامية بظهور عماد الدين زنكى الذى تمكن من تحقيق انتصارات على الفرنج فى الشمال تُوّجت بضربة حكيمة سددها إلى إمارة الرها (أول إمارة صليبية أُسست فى الشرق العربى) التى كانت تقف حاجزاً يمنع أى اتصال بين حلب و الموصل و يتهدد بغداد دار الخلافة . فاقتحمتها قواته فى جمادى الأولى ٥٣٩هـ/تشرين الثانى ١١٤٤م .

و كان لفتح الرها أصداء هامة فى كل من المعسكرين الإسلامى و الفرنجى . و يصف ابن الأثير أبعاد هذه المعركة و نتائجها فيقول : « و أشبهها ببدر صدقا ، من شهدها فقد تمسك من الجهاد بأوثق سبب » . و بفتح الرها تغيرت نظرة العرب و المسلمين إلى الفرنج ، فانحلت عقدة الخوف لديهم و انتهت أسطورة القوة التى طالما تشدق بها الفرنج بالإضافة إلى أن هذا الإنتصار بث فيهم روح الجهاد و التضحية و النضال فتحول العرب و المسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم مدفوعين إلى ذلك بالدعوة إلى الجهاد . و مال ميزان القوى فى بلاد الشام إلى صالحهم فانطلق عماد الدين زنكى يهاجم القلاع و الحصون الفرنجية فى الشام، ثم عمل على توحيد الجبهة العربية الإسلامية .

عصر الدولة الأيوبية :

لم يبق حكم الصليبيين فى القدس أكثر من ٨٨ سنة ، فانهارت مملكتهم

. و قـد حلـت بهـم الضربـة القاسـمة فى معركـة « حطـين « ٥٨٣هـ/١١٨٧م . و بعدهـا دخـل صـلاح الديـن الأيـوبى القـدس صلحـاً و سـمح للفرنجـة بمغادرتهـا بعـد دفـع جزيـة بسـيطة عـن كل شـخص . و امتـازت معاملـة صـلاح الديـن بالإنسـانية فأعفـى كثيريـن مـن دفـع الجزيـة و سـمح للمسـيحيين الشرقيـين بالبقـاء فى المدينـة .

أزال صـلاح الديـن الصليـب عـن قبـة الصخـرة و وضـع فيهـا المصاحـف و عـيّن لهـا الأئمـة و وضـع فى المسـجد الأقـصى المنـبر الـذى كان قـد أمـر نـور الديـن محمـود بـن زنـكى بصنعـه و دشـن إنشـاءات إسـلامية كثـيرة فى القـدس أهمهـا مدرسـة للشـافعية (الصلاحيـة) و خانقـاه للصوفيـة و مستشـفى كبـير (البيمارسـتان) . و أشرف بنفسـه عـلى تلـك الإنشـاءات ، بـل شـارك بيـده فى بنـاء سـور القـدس و تحصينـه ، و عقـد فى المدينـة مجالـس العلـم .

تـولى حكـم القـدس بعـد صـلاح الديـن ابنـه الملـك الأفضـل الـذى وقـف المنطقـة الواقعـة إلى الجنـوب الشرقـى مـن الحـرم عـلى المغاربة حمايـة لمنطقة الـبراق المقدسـة و أنشـأ فيهـا مدرسـة . وممـن حكـم القـدس مـن الأيوبيـين بعـد الأفضـل الملـك عيـسى بـن أحمـد بـن أيـوب الـذى أجـرى تعمـيرات فى كل مـن المسـجد الأقـصى و الصخـرة و أنشـأ ثـلاث مـدارس للحنفيـة (و كان الحنفـى الوحيـد مـن الأسرة الأيوبيـة) . و لكنـه عـاد فدمر أسـوار القـدس خوفاً مـن اسـتيلاء الصليبيـين عليهـا و خـرب المدينـة فاضطـر أهلهـا إلى هجرهـا فى أسـوأ الظـروف . و تـلاه بعـد فـترة وجيـزة أخـوه الملـك الكامـل الـذى عقـد اتفاقـاً مـع الإمبراطـور فريدريـك الثـانى ملـك الفرنجـة سـلّمه بموجبـه القـدس مـا عـدا الحـرم الشريـف . و سـلّمت المدينـة وسـط مظاهـر الحـزن و السـخط

و الإستنكار سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م . و بقيت فى أيديهم حتى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخى الكامل . و لكن الناصر ما لبث أن سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م . ثم عادت إلى الإسلام سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م عندما استردها الخوارزمية للملك نجم الدين أيوب ملك مصر .

عصر سلاطين المماليك :

ظلت القدس تحت السيادة المملوكية منذ عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م حتى عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م و قد حظيت المدينة باهتمام سلاطين المماليك ، الذين حرصوا على رعاية و تجديد المقدسات الإسلامية بها ، و خفضوا الضرائب المفروضة على المدينة ، كما أوقف بعضهم المصاحف على مساجدها ، و نجد السلطان الظاهر بيبرس يأمر بترميم المسجد الأقصى كما أسس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م « خانا « فى شمال غربى القدس مع النص على رعاية الفقراء و سد عوزهم . كذلك نجد السلطان « المنصور قلاوون « (٦٧٨ – ٦٨٩م) يجدد سطح الجزء الجنوبى الغربى من سقف المسجد الأقصى بجوار مسجد النساء ، كما وضع السلطان المنصور لاجين (٦٩٦ – ٦٩٨م) محراب الملك الناصر داود بجوار الحائط الجنوبى للمسجد الأقصى . و عندما تولى السلطان الناصر محمد الحكم للمرة الثالثة (٧٠٩ – ٧٤١هـ/١٣٠٩ – ١٣٤٠م) غطى الجزء الخلفى للمسجد الأقصى بلوحات رخامية و فتح نافذتين يميناً و يساراً للمحراب كما رمم العقود فى الجهة الشمالية للقسم المرتفع من الحرم الشريف و بوابة الغزالين كما ذهّب قباب المكانين المقدسين فى الحرم الشريف و قد برع الصناع فى فنهم حتى بدت هذه الصناعة فى عهد مجير الدين أى بعد حوالى مائة و

ثمانين عاماً كما لو أنها حديثة الصنع . كذلك الكتابة الموجودة على قبة الصخرة تذكر هذا التذهيب و تجديد السق المصنوع من الرصاص .

وفى عصر هذا السلطان أيضاً أعيد تجديد و إصلاح المجرى المائى الممتد بين بحيرة السلطان و المدينة . و فى عام ٨٥١هـ/١٤٤٧ - ١٤٤٨م احرق البرق و الصواعق سقف قبة الصخرة فأتلف جزءاً منه فأصدر السلطان « جقمق « (٨٤٢ - ٨٥٧هـ) أمراً بإصلاحه كما أمر بإتلاف كل الذى استحدث فى دير صهيون و كنيسة القبر ، و انتزع من الرهبان قبر داود و الموضع الذى يُقال أنه فيه « هبط الروح القدس « كما أمر بهدم بعض المبانى و تنظيم الطريق المؤدى إلى المسجد الأقصى .

أما السلطان « الأشرف قايتباى « (٨٧٣ - ٩٠١هـ/١٤٦٨ - ١٤٩٥م) فقد كان شديد الإهتمام و الحرص على الأماكن المقدسة الإسلامية لذلك أمر بإعادة بناء و توسيع بناء العين بين الجزء المرتفع من الحرم الشريف و حائطه الغربى و الممتد من المدرسة التى تحمل إسمه عند باب السلسلة للمسجد الأقصى . كما أصلح كثيراً من قنوات المياه التى تمد القدس بالمياه .

وتجدر الإشارة إلى حرص معظم سلاطين المماليك على زيارة المدينة المقدسة ، اكثر من مرة ، و منهم : الظاهر بيبرس البندقدارى ، و سيف الدين قلاوون و الناصر محمد بن قلاوون ، و السلطان الأشرف قايتباى ، و شيدوا بها عدد من المنشآت الدينية و المدنية ، كانت آيات فى فن العمارة ، و بلغت فى مجموعها نحو خمسين مدرسة و سبعة ربط و

عــشرات الزوايــا و عــدد مــن الأســبلة .

و فى سـنة ٧٧٧هــ جعلـوا القـدس نيابـة مسـتقلة تابعـة للسـلطان فى القاهـرة مبـاشرة بعـد أن كانـت تابعـة لنيابـة دمشـق . و مـن آثـار المماليـك فى القـدس أنهـم سـحبوا الميـاه مـن عـين العـروب إلى الحـرم الشريـف . و مـن أشـهر المـدارس التـى أنشـأوها المدرسـة السـلطانية الأشرفيـة و المدرسـة التنكزيـة .

و غـدت القـدس زمـن المماليـك مركـزاً مـن أهـم المراكـز العلميـة فى العـالم الإسـلامى كلـه فـكان يفـد إليهـا الدارسـون و المدرسـون مـن مختلـف الأقطـار . و قـد اكتشـفت فى الحـرم القـدسى سـنة ١٩٧٤م و بعـده وثائـق مملوكيـة تلقـى المزيـد مـن الضـوء عـلى تاريـخ المدينـة .
أمـا مـوارد المدينـة الإقتصاديـة فى هـذا العهـد فـكان أهمهـا الأوقـاف التـى وقفهـا المحسـنون و الأمـراء و السـلاطين عليهـا و عـلى المنشـآت التـى أقاموهـا . و كان بعـض هـذه الأوقـاف فى سـورية و تركيـا و مـصر مـن مصـادر رزق الحجـاج سـكان القـدس لا سـيما الحجـاج المسـيحيين .

عصر الإمبراطورية العثمانية :

كانـت معركـة « مـرج دابـق « ٩٢٢هــ/١٥١٦م إيذانـاً بنهايـة عـصر بأكملـه ، و بدايـة عـصر جديـد: عـصر الإمبراطوريـة العثمانيـة .. و فى العـام التـالى ، كان الفتـح العثـمانى لمدينـة القـدس .

و قـد اشـتهر السـلطان « سـليمان القانـونى « الـذى تـولى الحكـم سـنة ٩٢٧هــ/١٥٢٠م خلفـاً لوالـده السـلطان سـليم الأول ، باهتمامـه خاصـة

بالقـدس الشريـف ، إلى جانـب فتوحاتـه ، و شـيد فيهـا عـدة منشآت هامـة ، منهـا سـور القـدس الـذى اسـتغرق بنـاؤه خمـس سـنوات ، و تكيـة خاصكى سـلطان ، و تجديـد عـدد مـن المسـاجد و الأسـبلة ، و تجديـد قبـة الصخـرة و كسـوتها بالقيشـانى الفاخـر المتعـدد الألـوان ، و ترميـم داخـل المسـجد بالرخـام و تدعيـم الشـبابيك بالزجـاج الملـون المعشـق .

و فى عـصر سـليمان القانـونى أيضـاً وقـع بالبـلاد زلـزال عـام ١٥٤٥م فأطـاح بقبـة بـرج كان مخصصـاً لجـرس « كنيسـة القـبر « و فى عـام ١٥٥٥م وقعـت انقسـامات شـديدة بـين أبنـاء الطوائـف المسـيحية المختلفـة حـول هـذه الكنيسـة و حراسـتها و قـد أدت هـذه الإنقسـامات إلى تأخـير بناء قبة الكنيسـة و بـرج الجـرس و ظلـت الحـال كذلـك حتـى عـام ١٧١٩م إذ التـزم القائمـون عـلى الكنيسـة بتنفيـذ التعليـمات التركيـة و القاضيـة بوجـوب المحافظـة عـلى الرسـم القديـم للكنيسـة .
و قـد اتـشرت زمـن العثمانيـين فى القـدس التكايـا و الزوايـا و مؤسسـات الصوفيـة الأخـرى. و لكـن بـدءاً مـن القـرن الثـانى عـشر الهجـرى / الثامـن عـشر الميـلادى أخـذت مـدارس القـدس التـى أنشـأها المماليـك و الأيوبيـون تضمحـل بسـبب اضمحـلال العقـارات الموقوفـة عليهـا . و قـد وصلـت حالـة الشـعب العلميـة فى هـذا القـرن إلى أدنى مسـتوى عـلى الرغـم مـن ظهـور عـدد مـن علـماء الديـن البارزيـن .

و فى سـنة ١٨٣١ - ١٨٤٠م كانـت القـدس تحت حكم إبراهيم باشـا بن محمد عـلى باشـا حاكـم مـصر الـذى احتـل سـورية كلهـا إثـر خلاف نشـب مـع الدولة العثمانيـة . و قـد شـهدت فـترة الحكـم المـصرى شـيئاً مـن تحديـث الإدارة و

نـشر روح التسـامح ، و لكـن فـرض التجنيـد الإجبـارى و الضرائـب الكثـيرة و جمـع السـلاح مـن الأهـالى و إزالـة نفـوذ المشـايخ و العائـلات الإقطاعيـة أدت إلى ثـورة ضـد هـذا الحكـم دعمتهـا الدولـة العثمانيـة و اسـتطاع المصريـون اخمادهـا بصعوبـة . و لكـن إبراهيـم باشـا اضطـر إلى تـرك البـلاد سـنة ١٨٤٠م تحـت ضغـط الـدول العظمـى .

ولمـا عـاد العثمانيـون إلى الحكـم فى بـلاد الشـام عـام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م أرجعوا تقسـيماتهم الإداريـة ، و ربطـوا لـواء القـدس بإيالـة صيـدا . و لم يكـن الوضـع الإدارى فى بـلاد الشـام مسـتقراً فى النصـف الثـانى مـن القـرن التاسـع عـشر ، فكـثرت التغـيرات فيـه ، لكـن لـواء القـدس باقضيتـه السبعة ظـل تابعـاً لإيالـة صيـدا ، كذلـك لـواء عـكا بأقضيتـه الأحـد عـشر ، و لـواء البلقـاء (نابلـس) الـذى اسـتحدث عـام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م و كان يتبعـه تعـة أقضيـة .

أصـدرت الدولـة العثمانيـة فى عـام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م نظـام إدارة الولايـات الجديـد . و قـد قسّـمت البـلاد العثمانيـة بموجبـه إلى ثلاثـين ولايـة ، تتألـف كل واحـدة منهـا مـن ألويـة يترأسـها قائمقامـون ، و تتألـف الأقضيـة مـن نـواح يترأسـها مديـرو نـواح .
و كان عـلى رأس كل لـواء مـن الألويـة الثلاثـة فى فلسـطين متـصرف يديـر شـؤونه ، و يـشرف عـلى تنفيـذ أوامـر الدولـة ، و يتـولى أوامـر الشرطـة ، و لـه حـق تعيـين مواعيـد اجتـماع مجالـس النواحـى و الأقضيـة ، و التفتيـش فى جميـع أنحـاء المتصرفيـة .

و فى كل لـواء « مكتوبجـى « يحـرر المعامـلات الإداريـة و يحافـظ عـلى القيود

الرسمية ، و ينشر أوامر الحكومة . و كان إلى جانبه فى الجهاز الإدارى للواء مدير للمعارف ، و مدير للأمور الأجنبية ، ومدير للزراعة و التجارة و محاسب ، و مدير للأوقاف ، و مدير لقوة الأمن ، و مدير للنافعة مسؤول عن الطرق و المعابر ، و مدير للدفتر الخاقانى (الطابو) و قد حرصت الدولة على ان تتوفر فى موظفى « الطابو « العفة والإستقامة ، لكن عدداً منهم فتنتهم الرشاوى التى كانت تغدقها عليهم الجهات الصهيونية فى فلسطين فتصرفوا بالإراضى ، و نقلوا الملكية ، و باعوا بيوعاً غير قانونية . لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل ، أو يعزل و يحاكم !

أما الجهاز الإدارى فى القضاء فقد تألف من القائمقام ، و مدير المال ، و من موظفين من مختلف الإختصاصات . و تألف فى الناحية من مدير الناحية و فى القرية من المختار .

و كان لكل متصرفية « مجلس إدارة المتصرفية « الذى ضم بالإضافة إلى المتصرف و المديرين المسؤولين فى المتصرفية عضوين منتخبين من المسلمين ، و عضواً منتخباً من كل طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس و اللاتين و الأرمن و اليهود . ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية و اتخاذ القرارات بشأنها و النظر فى كل ما له صلة بالإدارة المحلية . و كان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى « مجلس القدس الكبير « .

و لكل قضاء « مجلس إدارة القضاء « ، ولكل ناحية « مجلس إدارة الناحية « و فى القرية « مجلس اختيارية القرية « .
أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة

أعـداد الزائريـن الأجانـب للقـدس ، و لمسـت اهتـمام الـدول الأجنبيـة بالمدينـة و تدخلهـم فى شـؤونها و فصلتـه عـن ولاية سـورية ، و أعلنته متصرفية مسـتقلة باسـم « قـدس شريـف متصرفلغـى إدارة مسـتقلة « فى عـام ١٢٩١هــ/١٨٧٤م .

وقـد حافظـت متصرفيـة القـدس عـلى وحدتهـا الإداريـة حتـى نهايـة العهـد العثـمانى ، فيـما عـدا السـنوات التـى ألحـق بهـا قضـاء النـاصرة بعـد فصلـه عـن لـواء عـكا (١٣٢٥ - ١٣٢٨هــ/١٩٠٦ - ١٩٠٩م) . و ضمّـت المتصرفيـة أقضيـة القـدس و يافـا و غـزة و الخليـل . و فى عـام ١٣٢٨هــ/١٩٠٩م أنشـئ قضـاء بـير السـبع ، و كان مـن قبـل جـزاءاً مـن قضـاء غـزة .

و كان متـصرف القـدس ذا نفـوذ فى لـواء نابلـس ، عـلى الرغـم مـن انفصـال هـذا اللـواء إداريـاً عـن القـدس و إلحاقـه بـوالى صيـدا أو بـوالى الشـام . حتـى إن الحكومـة المركزيـة ألحقـت لـواء نابلـس بمتصرفيـة القـدس أكـثر مـن مـرة . و يعـود ذلـك إلى قـوة مركـز و رتبـة متـصرف القـدس الـذى كان فى الغالـب مـن الموظفـين الأتـراك .

مـارس متـصرف القدس سـلطات الـوالى فى جميع الأمـور ، و كان يرفـع الأوراق المتعلقـة بقضايـا المتصرفـة إلى البـاب العـالى فى اسـتانبول مبـاشرة ، فى حـين كان متصرفـا لـواءى نابلـس و عـكا تابعـين لولايـة سـورية ثـم لولايـة بـيروت . و كان متصرفـو القـدس أيـام « السـلطان عبـد الحميـد « مـن الموظفـين الكبـار فى قـصر يلـدز حتـى يمكـن للسـلطان الإعتـماد عليهـم فى مواجهـة تيـار الهجـرة الصهيونيـة المتدفـق إلى فلسـطين آنـذاك ، و فى مواجهـة الضغـوط الأجنبيـة المختلفـة !

عصر الإنتداب البريطانى :

أتمت القوات البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبى ، احتلال فلسطين و وضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة فى تشرين الأول ١٩١٨ . و القاعدة الدولية التى يجب أن يعمل بها المحتل فى إدارة المناطق المحتلة هى إقامة « الإدارة العسكرية التى تدير شؤون البلاد ، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب ، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسى « . لكن الإحتلال البريطانى لم يسر على هذه القاعدة ، لأنه قد بيّت النية لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل ، تهئ فلسطين بالتدريج كى تصبح وطناً قومياً للصهيونيين ، عملاً بما جاء فى وعد بلفور الذى صدر عام ١٩١٧ . لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية ، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء ، على رأس كل لواء حاكم عسكرى بريطانى ، و حميعهم مرتبطون بحاكم عسكرى فى القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطانى فى القاهرة .

عندما تم الإنتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية أطلق عليها « حكومة عموم فلسطين « فى يوليو ١٩٢٠م ، أصبح الصهيونى البريطانى « هربرت صامويل « أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين ، كذلك عين الصهيونى « نورمان بنتوتش « مستشاراً قضائياً للحكومة و تولى المناصب الكبرى عدد من موظفى وزارة المستعمرات البريطانية .. و قد عمل السير « هربرت صامويل « حتى عام ١٩٢٥م على تمكين اليهود من الإستيلاء على فلسطين .. حتى أطلق عليه و بحق « ملك اليهود « !

و عندما قال الجنرال « اللنبى « قولته الشهيرة فى التاسع من ديسمبر ١٩١٧م ، مفاخراً أمام باب يافا : « إن الحروب الصليبية قد انتهت اليوم « ! .. فإنه قد سلم فلسطين لعصابات الإرهاب الصهيونى .

التكوين العمرانى والحضارى الإسلامى

تتألف القدس من قسمين هما : القدس القديمة ، التى يحيط بها السور الكبير القديم ، و هى التى تضم كل المقدسات : الصخرة المشرفة ، المسجد الأقصى ، كنيسة القيامة .. مما يشكل لها وضعاً فريداً لا مثيل له بين سائر المدن المقدسة فى العالم ، أما القدس الجديدة ، فهى الواقعة خارج السور ، و تميزها حداثة العمران و الأحياء الجديدة و الشوارع المنتظمة .

شهدت القدس تحسناً عمرانياً فى عهد الرومان فبلغت مساحتها أكثر من كيلومترين مربعين . و كان الفتح العربى بداية التطور العمرانى الكبير . و يعود الفضل فى ذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب . ثم تابع الأمويون و العباسيون و من جاء بعدهم تطوير القدس و تحسين اوضاعها العمرانية لتناسب أهميتها الدينية . و فى العهد العثمانى أصبحت القدس مركزاً لمتصرفية .

كان المخطط الهيكلى للبلدة القديمة فى هذا العهد يتألف من محورين رئيسين متعامدين و مشيرين بأطرافهما إلى الإتجاهات الأصلية . و يبدأ أحدهما من باب الخليل غرباً إلى باب السلسلة المفتوحة على الحرم الشريف و الثانى من باب العمود و ينتهى جنوباً قرب النبى داود . و هكذا قسّم هذان المحوران البلدة القديمة إلى أربعة أحياء غير متساوية هى حى النصارى فى الشمال الغربى حول كنيسة القيامة و يكمله حى الأرمن فى الربع الجنوبى الغربى . أما الحى اليهودى فيحتل الربع الجنوبى

الشرقـى عـلى حـين يشـغل حـى المسـلمين منطقـة المسـجد الأقـصى فى الشـمال الشرقـى .

و بنايــات القــدس القديمــة متلاصقــة تفصــل بــين مجموعاتهــا حــارات أو شـوارع مرصوفـة بالحجـارة و مسـقوفة بعقـود تربـط المبـانى عـلى جانبيهـا . و تتصـف الأبنيـة بسـماكة جدرانهـا المشـيدة مـن الحجـر الكلـسى . و أما سـقوف المنـازل فمبنيـة مـن الحجـر الخالـص بشـكل أقـواس او قبـاب . و قـد ظلـت مسـاحات واسـعة مـن البلـدة القديمـة خاليـة مـن العمـران قرونـاً طويلـة .

بـدأت المبـانى تمتـد خـارج السـور منـذ أواخـر القـرن المـاضى و أخـذت المدينة تنمـو فى الإتجـاه الشـمالى الغـربى ، و نحـو الغـرب فى اتجـاه مدينـة يافـا . و زحـف القلـب التجـارى للمدينـة المقدسـة عـلى طـول امتـداد طريـق يافـا .

أمـا الطـرق المخصصـة للأسـواق فهـى متقاطعـة و مفتوحـة عـلى بعضهـا ، لتسـهيل الإتصـال مـن سـوق إلى آخـر ، فى حـين تنتهـى بعـض طـرق الحـارات السـكنية إلى نهايـات مسـدودة لتوفـر للـمارة الشـعور بالإسـتقلالية ، و أسـواق المدينـة مصنفـة حسـب نـوع التجـارة أو الصناعـة ، و ذلـك يتمـشى مـع أحدث نظـم تخطيـط المـدن ، فهنـاك سـوق العطاريـن و سـوق القطانـين و سـوق اللحامـين و الحداديـن و خـان الزيـت و البـازار و الحـصر و الملابـس إلى غـير ذلـك .

و لم يهمـل المخطـط للمدينـة الخدمـات الصحيـة ، فاعتبرهـا مـن المكونـات الرئيسـة لهـا ، حيـث زودت بشـبكة مجـار حجريـة تغطـى المدينـة و تنقـل

محتوياتهـا إلى خـارج أسـوارها .

أمـا مسـاكن المدينـة فإنهـا تتجـلى ببسـاطة تصميمهـا فى توفـير المسـاحات الداخليـة المكشـوفة ، و التـى تعتـبر مـن أهـم مميـزات العـمارة الإسـلامية ، كـما أن تأديـة الوظائـف ، و اسـتعمال المـواد الإنشـائية المحليـة و التهويـة الجيـدة و التجانـس بـين الأبنيـة فى المدينـة ، كل ذلـك يعتـبر مـن الأسـس المهمـة فى تطبيـق العـمارة الإسـلامية.

بعـد حـرب ١٩٤٨م و انفصـال القـدس الجديـدة عـن القـدس القديمـة ، اتسـعت المدينـة القديمـة بسرعـة نحـو الشـمال و الـشرق و امتـدت الأحيـاء مـع شرايـين الطـرق الرئيسـة ، و اسـتاثر طريـق القـدس - رام اللـه بالأحيـاء الراقيـة (الشـيخ جـراح و شـعفاط و بيـت حنينـا) عـلى حـين امتـدت الأحيـاء الشـعبية شرقـاً عـلى طريـق القـدس - عـمان ، و جنوبـاً عـلى طريـق القـدس - بيـت لحـم . و أمـا القلـب التجـارى فإنـه تركـز فى شـارعى بـاب العمـود و صـلاح الديـن . و اسـتعمل الحجـر الكلـسى المنحـوت فى المبـانى الحديثـة فاكتسـت بـه الجـدران مـن الخـارج فى حـين بُطنـت بالإسـمنت مـن الداخـل . و أمـا السـقوف فمـن الإسـمنت المسـلح بالحديـد . و قـد سـاعد هـذا عـلى اتسـاع مسـاحة المسـكن و انفـراج نوافـذه فتحولـت الأقـواس عـن وظيفتهـا كدعائـم تشـد البنيـان و ترفـع السـقوف إلى مجـرد زخـارف تجمـل البنـاء . و قـد تعـرض كثـير مـن المبـانى فى القـدس القديمـة للتدمـير بعـد عـام ١٩٦٧م عـلى يـد سـلطة الإحتـلال الإسرائيـلى .

أمـا القـدس الجديـدة فـإن نموهـا أصبـح مقصـوراً عـلى الإتجـاه نحـو الغـرب حيـث امتـدت الأحيـاء السـكنية بعماراتهـا الضخمـة التـى بنيـت لإسـتيعاب

أكبر عدد من المهاجر الصهيونيين . و خطط للمركز التجارى أن يزحف نحو الشمال الغربى فى اتجاه حى روميما على حين خطط للدوائر الرسمية أن تكون امتداداً للحى التجارى نحو الجنوب حيث مساحات واسعة من الأرض التى تضم الجامعة العبرية و المكتبة العامة و المتحف و المؤسسات الأخرى . و هكذا ينحصر حى العمل المركزى فى القدس الجديدة بين الأحياء السكنية القديمة نسياً شرقاً و الأحياء الحديثة و الضواحى غرباً و جنوباً بغرب . و هناك حزام أخضر من الأشجار و المتنزهات و الملاعب بالضواحى من الجهة الغربية .

أعلنت سلطة الإحتلال الإسرائيلى بعد ١٩٦٧م ضم القدس العربية إلى القدس الإسرائيلية فى مدينة موحدة . و هذا الإعلان يخالف القوانين الدولية و يتحدى العالم . و فور الإعلان عن توحيد المدينة المقدسة قامت هذه السلطة بتصميم مخطط هيكلى للمدينة الموحدة و العمل على تنفيذ مشروع القدس الكبرى .

و بموجب هذا المشروع أصبحت القدس القديمة و ما حولها من الأحياء و القرى العربية كوادى الجوز و الثورى و سلوان و الطور و العيسوية و بيت حنينا و شعفاط و قلندية و بيت صفافا و شرفات و صور باهر و أبو ديس و جبل المكبر تابعة لبلدية القدس . و تهدف (إسرائيل) من وراء هذا المشروع إلى تهويد المدينة المقدسة .. التى أقيمت بها متاحف و مسارح و أسواق عصرية ، كما انتشرت بها المدارس الدينية اليهودية و الملاهى الليلية ! .. و تتباين الأزياء فى شوارعها .. فتشاهد المعطف الأسود المتطرف اليهودى .. و كابيت الرهبان و جلاليب المسلمين إلى جانب بنطلونات الجينز .. و أحدث التقاليع الغربية !!

روائع فنون العمارة الإسلامية

تزخـر المدينـة المقدسـة بروائـع العـمارة الإسـلامية ، كان فيهـا نحـو مائـة بنـاء أثـرى ، تشـمل المسـاجد والمـدارس والخانقـاوات والزوايـا والأسـبلة والتكايـا والربـط والتحصينـات ، وقـد زال معظمهـا ، هـذه المنشـآت الحضاريـة ، شـيدت فى القـدس ، ولم تكـن المركـز السـياسى فى أى مـن العصـور الإسـلامية ، وقـد حـرص الخلفـاء والسـلاطين عـلى تشـييد المنشـآت الدينيـة والمدنيـة بقصد فعـل الخـيرات والتعبـير عـما تفيـض بـه مشـاعرهم مـن المحبـة والتقديـس لهـذه المدينـة المقدسـة ، وتوفـير سـبل الراحـة والإقامـة للحجيـج والـزوار والمتصوفـة .. مـن جميـع بقـاع الأرض .

إن الفنانـين المعماريـن الـرواد قامـوا بتنفيـذ المنشـآت العمرانيـة فى فلسـطين ، بعـد الفتـح العـربى الإسـلامى ، كانـوا إمـا مـن العنـاصر السـكانية المحليـة التـى دخلـت فى الإسـلام ، و إمـا مـن العنـاصر البيزنطيـة المسـتقرة فى فلسـطين ، و التـى بقيـت عـلى النصرانيـة ، و قدمـت خدماتهـا للدولـة الجديـدة . و طبيعـى أن هـؤلاء الفنانـين نشـأوا فى ظـل المدرسـة المعماريـة المحليـة ، و التـى كان طابعهـا الفنـى هـو الطابـع البيزنطـى ، كان عليهـم أن يطـوروا فنهـم ليتـلاءم مـع متطلبـات الديـن الجديـد .

و مـن منطلـق امتـزاج الديـن بالدولـة فى الإسـلام ، و بدراسـة روائـع العـمارة الإسـلامية فى فلسـطين منـذ الأيـام الأولى لقيـام دولـة الإسـلام فيهـا نجـد أن هـذه النشـآت صُممـت لتخـدم الغرضـين الدينـى و السـياسى معـاً . و هـذا يُلاحـظ بشـكل واضـح فى بنـاء قبـة الصخـرة مثـلاً ، التـى بُنيـت فى مدينـة

القـدس و انتقـى موقعهـا الطبوغـرافى فى سـاحة الحـرم الشريـف ، و شُـيد بناؤهـا فـوق الصخـرة الشريفـة . و لم يكـن كل هـذا عرضـاً أو مصادفـة : فالقـدس موطـن الديانـات السـماوية السـابقة ، و تقـترن بمعجـزة الإسـلام فى الإسراء مـن المسجد الحـرام إلى المسـجد الأقـصى ، و هـى قبلـة الإسـلام الأولى . و لـكل مـن هـذه الحقائـق مدلولاتهـا السياسـية و الدينيـة معـاً و إذا تُـرك جانبـاً مخطـط القبـة الهنـدسى ، و معادلـة مخطـط البنـاء و أبوابـه و بواباتـه ، و أُلتفـت إلى زخـارف الفسيفسـاء الهندسـية و الأرابسـك التـى توحـى بالصفـاء الروحـى ، و الكتابـات الإسـلامية التـى تدفـع إلى التأمـل فى القـدرة الإلهيـة دل هـذا البنـاء عـلى مولـد فـن عالمـى جديـد يتصـل فيـه مـاضى هـذه الأمـة بحاضرهـا الـذى طبعـه الإسـلام بطابعـه المتميـز .

و الرباطـات هـى أحـد فنـون العـمارة الحربيـة ، يقيـم فيهـا المحاربـون للدفـاع عـن البـلاد . و قـد انتـشرت فى المناطـق السـاحلية مـن فلسـطين مثـل : غـزة ، و ميـماس ، و عسـقلان ، و الماحـوز ، و أسـدود ، و يافـا ، و أرسـوف و غيرهـا . و يمتـاز الربـاط بجـدران خارجيـة متينـة مـزودة بأبـراج ، و فى الداخـل فنـاء تحيـط بـه حجـرات صغـيرة للسـكن ، إضافـة إلى مسـجد . و فى أوقـات الـضرورة ، توقـد مـن منـارة الربـاط نـيران إذا كان الوقـت ليـلاً ، وإن كان نهـاراً دخّنـوا . و و توجـد فى كل ربـاط إلى القصبـة عـدة منائـر شـاهقة رُتـب لـكل منهـا أقـوام . فـإذا أوقـدت المنـارة التـى للربـاط توقـد التـى تليهـا ثـم الأخـرى . فـلا تكـون سـاعة إلا و قـد أنفـر بالقصبـة ، و خـرج النـاس إلى ذلـك الربـاط بالسـلاح و القـوة .

و قـد عنـى المسـلمون بإقامـة المسـاجد أينـما كانـوا يحلـوا ، سـواء فى المـدن

و القـرى القائمـة فى فلسـطين ، أو فيـما أنشـأوه مـن مـدن كالرملـة التـى أقيـم فيهـا الجامـع الأبيـض سـنة ٩٦هــ/٧١٥م . و بُنيـت لـه فى خلافـة هشـام بـن عبـد الملـك منـارة بهيـة . أمـا النـاصر محمـد بـن قـلاوون فقـد بنـى فى الجامـع الأبيـض منـارة سـنة ٧١٨هــ/١٣١٨م ، و هـى مـن عجائـب الدنيـا .

و قـد تطـورت المسـاجد مـع مـرور الزمـن ، و زُخرفـت جدرانهـا بكتابـة آيـات مـن القـرآن الكريـم ، و زُينـت أعمدتهـا بالجـص و التيجـان . و أصبحـت فى معظمهـا مكونـة مـن مسـاحة كبـيرة مكشـوفة فى الغالـب ، يحيـط بهـا أربعـة أروقـة تسـندها الأعمـدة ، و الـرواق المتجـه نحـو الكعبـة واسـع فيـه المحـراب و المنـبر ، ثـم كان اسـتعمال القبـة ، و الأعمـدة ذات التيجـان ، والأقـواس نصـف الدائريـة فتحـاً جديـداً فى عـمارة المسـاجد .

و قـد زيـن الأمويـون البـلاد بالقصـور و الأبنيـة الفخمـة ، مثـل قصورهـم فى القـدس وقـصر هشـام بـن عبـد الملـك فى خربـة المفجّـر قـرب أريحـا ، و يُنسـب إليهـم قـصر حيفـا . وقصورهـم فى الباديـة مـا زالـت تذهـل علـماء الآثـار لروعـة آثارهـا الهندسـية و تصويرهـا الـذى يمثـل أحـوال الباديـة و مناظـر الصيـد و الغـزوات .

و حفلـت المـدن الفلسـطينية بطـرز معماريـة أخـرى ، كالخانـات و الأسـبلة و الأسـواق والحمامـات و المـدارس . و الخانـات فنـادق ينـزل فيهـا المسـافرون مـع دوابهـم (كخـان التجـار فى نابلـس) و خـارج كل خـان سـاقية للسـبيل و حانـوت يشـترى المسـافر منـه مـا يحتـاج إليـه لنفسـه أو لدابتـه . و الأسـبلة هـى أماكـن يرتـوى منهـا المـارة ، تقـام مسـتقلة أو ملحقة بالمسـجد أوالمدرسـة

، و هـو غنـى بزينتـه و زخارفـه و قبتـه ، و سـبيل بـاب السلسـلة الـذى بنـى مـع أسـبلة أخـرى فى العـصر العثـمانى فى القـدس . و تقـوم الأسـواق (القياسر) فى أماكـن معينـة فى المـدن ، و تمتـاز بقناطرهـا و عقودهـا . و تـكاد الحمامـات تكـون أمـراً شـائعاً فى جميـع المـدن الإسـلامية و جـدران بعضهـا مزينـة بالصور و الرسـوم .. أمـا المـدارس ، فقـد خلّـف سـيف الديـن تنكـز المدرسـة التنكزيـة فى القـدس ، و تُعـرف بالمحكمـة الشرعيـة ، و هـى آيـة مـن الفـن المعـمارى ، لا سـيما زخـرف الأبـواب العاليـة و الحجـارة الملونـة و المقرنصـات . و تقـع فى بـاب السلسـلة المدرسـة الأشرفيـة التـى بنيـت فى عهـد السـلطان قايتبـاى .

و تكـثر فى فلسـطين الأضرحـة التـى كانـت تبنـى غالبـاً عـلى شـكل قبـة أو ابـراج أسـطوانية ذات سـقف مخروطـى . و كان المماليـك قـد أكـثروا مـن إقامـة المـزارات و المشـاهد و المقامـات والأسـبلة مـن فنـون العـمارة المختلفـة فى فلسـطين بعـد اسـترجاعها مـن الصليبيـين . كـما انتـشرت زوايـا المتصوفـين و بيوتهـم التـى عرفـت بالخوانـق ، كخوانـق الكرّميـة فى القـدس . و فيهـا أيضـاً الخانقـاة الصلاحيـة الملاصقـة لكنيسـة القيامـة ، و قـد اشـتهرت بمئذنتهـا التـى بنيـت سـنة ٨٢٠هــ/١٤١٧م . هـذا إلى جانـب التكايـا التـى انتـشرت فى العهـد العثـمانى.

أمـا طـرق المدينـة المقدسـة : فإنهـا تتميـز بالعقـود الحجريـة الجميلـة التـى تعـود إلى العصـور الإسـلامية المتوسـطة، والبعـض الآخـر مفتـوح، كـما بنيـت المـدارس والمسـاكن والزوايـا والسـبل للسـقاية عـلى جانبـى الطـرق، وتحمـل العقـود الحجريـة فوقهـا الأبنيـة الحجريـة التـى تطـل عـلى الطريق بشـبابيكها الصغـيرة.

وتصميـم هـذه الطـرق الرفيعـة، يوفـر الظـلال المريحـة للمشـاة ويخفـف مـن درجـة الحـرارة ويمنـع سـقوط أشـعة الشـمس المبـاشرة عـلى المـارة وخصوصـاً فى أيـام الصيـف، وهـذا مـا تتميـز بـه العـمارة الإسـلامية فى المـدن الإسـلامية التاريخيـة، وبإمـكان الإنسـان أن يقطـع طـرق القـدس الشريـف فى وقـت قصـير، وأن يقـضى جميـع احتياجاتـه سـيراً عـلى الأقـدام دون تعـب أو ملـل، ويرجـع ذلـك إلى فلسـفة تخطيـط المدينـة وإلى اتبـاع الأسـس السـليمة فى العـمارة.

أبواب القدس :

لمدينـة القـدس سـبعة أبـواب مـا زالـت مسـتعملة وأربعـة أبـواب مغلقـة والأبـواب السـبعة المسـتعملة هـى:

•بـاب «العمـود» المعـروف عنـد الأجانـب «ببـاب دمشـق» ويقـع فى منتصـف الحائـط الشـمالى لسـور القـدس تقريبـاً ويعـود تاريخـه إلى عهـد السـلطان سـليمان القانـونى العثـمانى، ويعلـو هـذا البـاب قوس مسـتدير قائم بـين برجين، ويـؤدى بممـر متعـرج إلى داخـل المدينـة، وقـد أقيـم فـوق أنقـاض بـاب يرقـى إلى العهـد الصليبـى. ووجـدت أثنـاء حفريـات سـنة ١٩٣٦ وسـنة ١٩٦٦ بقايـا بابـين يعـود أحدهـما إلى زمـن الإمبراطـور «هادريانـوس» الـذى أسـس مدينـة «إيليـا كابيتولينـا» بـين سـنتى ١٣٣ و ١٣٧ ميلاديـة عـلى أنقـاض المدينـة التـى دمرهـا الإمبراطـور طيطـوس، والثـانى هـو الـذى بنـاه هـيرودوس أغريبـاس فى منتصـف القـرن الأول الميـلادى وتظهـر الكتابـة فـوق بـاب هادريانـوس اسـم المدينـة الجديـدة. والبـاب قـوس ضخـم يرتكـز عـلى دعامتـين مـن الحجـارة القديمـة المنحوتـة نحتـاً ناعـماً والمـزودة بإطـار أنعـم نحتـاً. وقـد أضيـف

عمـود داخـل البـاب فى أيـام الإمبراطـور هادريانـوس نفسـه. ويظهـر العمـود فى خريطـة الفسيفسـاء التـى عـثر عليهـا فى الكنيسـة البيزنطيـة فى مأدبـا وقـد بقـى هـذا العمـود حتـى الفتـح الإسـلامى، ولذلـك سـمى العـرب البـاب بـاب العمـود وكان يدعـى مـن قبـل بـاب دمشـق لأنـه مخـرج القوافـل إليهـا.

•بـاب «السـاهرة» المعـروف عنـد الغربيـين باسـم «بـاب هـيرودوس»، وهـو مثـل سـابقه يقـع إلى الجانـب الشـمالى مـن سـور القـدس، عـلى بعـد نصـف كيلـو مـتر شرقـى بـاب العمـود. وبـاب السـاهرة بسـيط بنـى ضمـن بـرج مربـع. وهـو يرقـى إلى عهـد السـلطان سـليمان الثـانى.

•بـاب «الأسـباط» أو كـما يسـميه الغربيـون بـاب القديـس أسـطفان، يقـع فى الحائـط الشرقـى، وهـو يماثـل بـاب السـاهرة فى شـكله، ويعـود تاريخـه أيضـاً إلى عهـد السـلطان سـليمان نفسـه.

•بـاب «المغاربـة» وبـاب «داود» فى الحائـط الجنـوبى لسـور القـدس. وبـاب المغاربـة أصغـر أبـواب القـدس. وهـو قـوس قائـم ضمـن بـرج مربـع. وأمـا بـاب داود الـذى يعرفـه الأجانـب باسـم بـاب صهيـون فهـو بـاب كبـير منفـرج يـؤدى إلى سـاحة داخـل السـور. وقـد أنشـئ فى عهـد السـلطان سـليمان عندمـا أعـاد بنـاء سـور المدينـة.

•بـاب «الخليـل» الـذى يسـميه الغربيـون بـاب «يافـا» ويقـع فى الحائـط الغـربى.

•البـاب «الجديـد» فتـح فى الجانـب الشـمالى للسـور عـلى مسـافة كيلـو مـتر تقريبـاً غـربى بـاب العمـود. وهـو حديـث العهـد يعـود إلى أيـام زيـارة الإمبراطـور الألمـانى غليـوم الثـانى لمدينـة القـدس سـنة ١٨٩٨م.

وأبـرز الأبـواب الأربعـة المغلقـة «بـاب الرحمـة» الـذى يسـميه الأجانـب «البـاب الذهبـى» لجمالـه ورونقـه، ويقـع عـلى بعـد ٢٠٠م جنـوبى بـاب

الأسـباط فى الحائـط الشرقـى للسـور. ويعـود هـذا البـاب إلى العـصر الأمـوى، وهـو بـاب مـزدوج يعلـوه قوسـان ويـؤدى إلى باحـة مسـقوفة بعقـود ترتكـز عـلى أقـواس قائمـة فـوق أعمـدة كورنيشـة ضخمـة. وقـد أغلـق هـذا البـاب فى أيـام العثمانيـين بسـبب خرافـة سرت بـين النـاس آنـذاك مآلهـا أن الفرنجـة سـيعودون ويحتلـون مدينـة القـدس عـن طريـق هـذا البـاب، وهو مـن أجمل أبـواب المدينـة ويـؤدى مبـاشرة إلى داخـل الحـرم.

والأبـواب الثلاثـة المغلقـة الأخـرى تقـع فى الحائـط الجنـوبى مـن السـور، قرب الزاويـة الجنوبيـة الشرقيـة وتـؤدى جميعهـا إلى داخـل الحـرم مبـاشرة، وأولهـا ابتـداء مـن زاويـة السـور البـاب الواحـد ويعلـوه قـوس.

وثانيهـا «البـاب المثلـث» وهـو مؤلـف مـن ثلاثـة أبـواب يعلـو كلاً منهـا قـوس. والثالـث المـزدوج وهـو مـن بابـين يعلـو كلاً منهـما سـور. وتشـير الأدلـة إلى أن هـذه الأبـواب الثلاثـة أنشـئت فى العهـد الأمـوى أيـام بنـى الخليفـة عبدالملـك بـن مـروان قبـة الصخـرة.
إن مـا عـثر عليـه مـن آثـار أبـواب قديمـة تحـت بـاب العمـود يـدل عـلى أن تحـت الأبـواب الحاليـة أبوابـاً أخـرى قديمـة ترقـى إلى عهـود سـابقة.

العصور الذهبية للقدس الشريف

عصر خلفاء بنى أمية

أولى خلفاء دولة بنى أمية «مدينة القدس» اهتماماً خاصاً ، وحرص بعضهم على أن تشهد القدس مبايعتهم للخلافة ، كما حرصوا على أن يشيدوا بها المساجد والربط والقصور ...
وفى هذا العصر الذهبى نشأت عملية تمازج بين فكر و نتاج الحضارتين البيزنطية و الفارسية من جهة ، و الحضارة الإسلامية الوليدة من جهة أخرى .. و كان أبرز أوجه هذا التمازج الحضارى فى مجال العمارة الإسلامية ، و فى فلسطين - بصفة خاصة - توارث الفن المحلى فنون الأمم التى شيدت وجوداً سياسياً و حضارياً فى أرضها .. فقد امتزج الفن المعمارى المتوارث بالخصائص التى طبع بها الإسلام عطاء الفنان المسلم .

وتمثل مجموعة الحرم الشريف قلب مدينة القدس، ويحيط بها سور حجرى عتيق يبلغ طوله حوالى ١٦٠٠ متر ويشتمل على تسعة أبواب هى الرحمة وحطة وفيصل والغواغة والناظر والحديد والقطانين والسلسلة والمغاربة. ويتصل الحرم الشريف بباقى أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم التسعة، وتمتد بين أجزاء المدينة المحتلة ذات الوظائف المتعددة. ولم يقف اختلاف المناسب الطوبرغرافية، ضمن المدينة، حائلاً أمام المخطط والمصمم، حيث تم التغلب على ذلك باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتنقل الشخص من مستوى إلى آخر.

وكان من أبرز وأهم آثار الأمويين خاصة ، والعمارة الإسلامية عامة :

مسجد قبة الصخرة :

يصـف العـالم الأثـرى الشـهير (فـان برشـم) قبـة الصخـرة بقولـه: «لعـل روعتهـا وجمالها يعـودان لما فى تخطيطهـا وتصميمهـا مـن بسـاطة وتناسـق .. حقـاً إنهـا مفخـرة العـمارة الإسـلامية.

وعنهـا يقـول «جوسـتاف لوبـون» إنهـا أعظـم بنـاء يسـتوقف النظـر، إن جمالهـا وروعتهـا لا يصـل إليهـما خيـال إنسـان وقـد شرع فى بنائهـا الخليفـة عبدالملـك بـن مـروان فى سـنة ٦٨هــ/٦٨٨م، واكتمـل سـنة ٧٢هــ/٦٩١م.

ويعتـبر المسـجد مـن أجمـل آثـار التاريـخ الإنسـانى ، وقـد رصـد لبنائـه خـراج مـصر لمـدة سـبع سـنين ، حتـى شـيدت القبلـة التـى أفرغـت فيهـا روائـع الفـن والـذوق العـربى الإسـلامى، ويقـع المسـجد حـول الصخـرة المشرفـة بوسـط فنـاء واسـع مرتفـع عـن أرض الحـرم الشريـف، ويبلـغ ارتفـاع قبتـه ثلاثين مـتراً، وهـى أبـرز ملامـح المدينـة، وتتألـف مـن طابقـين: الطابـق العلـوى مكسـو بصفائـح مـن الرصـاص، وعقـب ضربـه بالقنابـل الإسرائيليـة عـام ١٩٤٨ اسـتبدل بهـا صفائـح مــن الألومنيـوم المذهــب، والبنـاء مثمــن الشـكل، وطـول كل ضلـع ٢٠ مـتراً، وارتفاعـه ١٠ أمـترا، والطابـق السـفلى مصفـح برقائـق الرخـام الأبيـض الجميـل، تزينهـا مربعـات مـن القيشـانى الفـيروزى، كتبـت عليهـا سـورة «يس» باللـون الأبيـض، وتـزدان هـذه الواجهـات الثـمان بنوافـذ مـن الزجـاج الملـون، عددهـا ٥٦ نافـذة، وتحـت الصخـرة «مغـارة الأنبيـاء» التـى ينـزل إليهـا بإحدى عـشرة درجـة، وللمسـجد أربعـة أبـواب مزدوجـة.

والبائكـة المثمنـة تحيـط بالاسـطوانة الدائريـة التـى تحمـل القبـة، ومـا بينهما يسـمى بالمطـاف الداخـلى، وتتكـون مـن أربعـة وعشريـن عقـداً محمولـة فوق ثمانيـة دعائـم وسـتة عـشر عمـوداً بواقـع عموديـن بـين كل دعامتـين، وتـم ربـط عقـود هـذه البائكـة بواسـطة عرقـين مـن الخشـب متجاوريـن، فوقهـما مرمـاك مـن الطـوب، ويحمـل هـذا المطـاف سـقفاً جمالونيـاً يميـل قليـلاً إلى الخـارج، أمـا «المثمـن الخارجـى» فطـول كل ضلـع ٢٠,٦ مـتر وبارتفـاع ٩,٥ مـتر ويحمـل هـذا المطـاف سـقفاً خشـبياً يناسـب ميـل جمالـون المطـاف الأول، ويسـاعد هـذا الميـل عـلى تصريـف ميـاه الأمطـار عـن طريـق ثمانيـة وأربعـين ميزابـاً، سـتة فى كل ضلـع، ترتفـع داخـل دورة فـوق أضـلاع المثمـن الخارجـى، والتـى يحتـوى كل ضلـع منهـا سـبعة بانوهـات، يتخلـل الخمسـة الوسـطى منهـا شـبابيك مزدوجـة تـزدان مـن الخـارج بالحديـد المشـغول، ويذكـر بعـض الرحالـة أن أبـواب المسـجد كانـت مهـداة مـن والـدة الخليفـة العبـاسى المقتـدر.

والمشـهد - بصفـة عامـة - يلائـم الطواف حـول الصخـرة .. وفى الضلع الجنوبى مـن المثمـن الخارجـى نجـد المحـراب المجـوف، وأهميتـه حسـب اعتقـاد العالم الأثـرى «كريزويـل» أنـه أول محـراب مجـوف فى الإسـلام، علـماً بـأن المحـراب الموجـود أسـفل الصخـرة بالكهـف عبـارة عـن علامـة عـلى الحائـط!

المسـجد مـن الخـارج يبـدو كقطعـة رائعـة مـن الجـمال والفـن الرفيـع، الجـدران الخارجيـة مجلـدة بالرخـام الأبيـض الفاخـر حتـى منتصفهـا ثـم تزدان بعـد ذلـك بالقيشـانى الفاخـر الملـون، أمـا الجـدران مـن الداخـل والدعائـم والأعمـدة فتـزدان بالرخـام وزخـارف الفسيفسـاء الملونـة فى أشـكال نباتيـة

تجـل عـن الوصـف .. حتـى قـال عنهـا البروفيسـور «بريتـش»: تبـدو وكأنهـا تسـبح فى فضـاء خـال مـن الهـواء، متحـررة مـن قانـون الجاذبيـة الأرضيـة .. ثـم يتسـاءل إذا مـا كان الفنـان المسـلم قـد قصـد بهـا تصويـر الجنـة؟!

وعـمارة مسـجد قبـة الصخـرة وزخارفـه: أشـكالها وطرزهـا وفلسـفتها، قـد أفاضـت المصـادر القديمـة والحديثـة فى وصفهـا .. وقـد تناولهـا بأشـمل وأدق التفاصيـل د. «كريزويـل» فى مؤلفـه الضخـم عـن العـمارة الإسـلامية.

المسجد الأقصى:

المسـجد الأقـصى الـذى بـارك اللـه حولـه، وإليـه أسرى برسـول رب العالمـين - صـلى اللـه عليـه وسـلم - ومنـه كان معراجـه إلى الحـضرة الإلهيـة تأكيـداً عـلى أن رسـالته هـى الخـط التوحيـدى الأعظـم، والأقـصى هـو القبلـة الأولى للمسـلمين وثالـث الحرمـين الشريفـين.

ينسـب معظـم المؤرخـين المسـلمين بنـاء المسـجد الأقـصى إلى الخليفـة الأمـوى عبـد الملـك بـن مـروان. ومـن هـؤلاء البشـارى المقـدسى وشـهاب الديـن أحمـد بـن محمـد المقـدسى ومجـير الديـن الحنبـلى والسـيوطى. ويقولـون إنـه بنـاه سـنة ٧٢ هــ/٦٩١م. وينسـبه بعـض المؤرخـين، ومنهم ابـن البطريـق وابن الأثير وابـن الطقطقـى، إلى الوليـد بـن عبدالملـك (حكـم مـن ٨٦ - ٩٦ هــ/ ٧٠٥ - ٧١٤م). وتؤكـد هـذا الـرأى مجموعـات مـن أوراق الـبردى تضـم مراسـلات بـين قـرّة بـن شريـك عامـل مـصر الأمـوى (٩٠ - ٩٦هــ/٧٠٩ - ٧١٤م) وأحـد حـكام الصعيـد وتتضمـن ذكـر نفقـات العـمال الذيـن كانـوا يتولـون بنـاء مسـجد القـدس. وتـدل هـذه الأوراق بصـورة قاطعـة عـلى أن العمـل فى بنـاء المسـجد كان جاريـاً حـوالى سـنة ٩٠هــ/٧٠٩م. ويعنـى هـذا أن بـانى المسـجد هـو الوليد

بـن عبدالملـك، أو أنـه هـو الـذى أتـم بنـاءه.

ويختلـف بنـاء المسـجد الحـالى عـن بنـاء الأمويـين اختلافـاً كبـيراً. فقـد بنـى المسـجد بعـد ذلـك ورمـم عـدة مـرات: ففـى أواخـر الحكـم الأمـوى (١٣٠ هــ/٧٤٧م) حـدث زلـزال سـقط بسـببه شرقـى المسـجد وغربيـة. وقـد جـرت إعـادة بنـاء المسـجد زمـن الخليفـة العبـاسى المنصور سـنة ١٤١هــ/٧٥٨-٧٥٩م. وفى سـنة ١٥٨هــ/٧٧٤م وقـع البنـاء الـذى أقامـه المنصـور بسـبب زلـزال آخـر فأمـر الخليفـة المهـدى بإعـادة بنائـه. وبنـى المسـجد هـذه المـرة بعنايـة كبـيرة وأنفقـت عليـه أمـوال طائلـة. وكان يتكـون مـن رواق أوسـط كبـير يقـوم عـلى أعمـدة رخـام وتكتنفـه مـن كل جانـب سـبعة أروقـة موازيـة لـه وأقـل منـه ارتفاعـاً.

وفى سـنة ٤٢٥هــ/١٠٣٣م خـرب المسـجد الأقـصى خرابـاً كبـيراً بسـبب زلـزال آخـر فعمـره الخليفـة الفاطمـى الظاهـر لإعـزاز ديـن اللـه وضيقـه مـن الغرب والـشرق بحـذف أربعـة أروقـة مـن كل جانـب. والأبـواب السـبعة التـى فى شـمال المسـجد اليـوم هـى مـن صنـع الظاهـر. كـما أن جـزءاً كبـيراً مـن بنـاء الأقـصى الحـالى - قبـل التعمـيرات التـى جـرت فى هـذا القـرن - يرجـع إلى الظاهـر.

وعندمـا احتـل الصليبيـون القـدس غـيروا معـالم المسـجد فاتخـذوا جانبـاً منـه كنيسـة وجانبـاً آخـر مسـكناً لفرسـان الاسـبتارية وأضافـوا إليـه مـن الناحيـة الغربيـة بنـاء جعلـوه مسـتودعاً لذخائرهـم.

ولمـا حـرر صـلاح الديـن الأيـوبى القـدس أمـر بإصـلاح المسـجد الأقـصى وإعادة

البنـاء إلى مـا كان عليـه قبـل الاحتـلال الصليبـى. وجـدد صـلاح الديـن محـراب المسـجد وغشّـاه بالفسيفسـاء وأتى بالمنـبر الرائـع الـذى أمـر نور الديـن محمود بـن زنـكى بصنعـه للمسـجد الأقـصى مـن حلـب ووضعـه فى المسـجد.

وفى سـنة ٦١٤هــ/ ١٢١٧م أنشـأ الملـك المعظـم عيـسى بـن أحمـد ابـن أيـوب الـرواق الشـمالى للمسـجد، وهـو يشـمل سـبعة أقـواس تقابـل أبـواب المسـجد السـبعة.

وقـد أجـرى السـلاطين المماليـك، ثـم العثمانيـون، إصلاحـات وتعمـيرات كثـيرة فى المسـجد الأقـصى. ولكـن شـكله العـام لم يتغـير منـذ عهـد الأيوبيـين.

ويـزدان حـرم المسـجد الأقـصى مـن جهـة الغـرب بأروقـة محكمـة البنـاء، تمتد مـن جهـة القبلـة إلى جهـة الشـمال. وأولهـا عنـد بـاب الحـرم المعـروف ببـاب المغاربـة وآخرهـا عنـد بـاب الغوانمـة، وكلهـا عمّـرت فى سـلطنة الملـك النـاصر محمـد بـن قـلاوون فى مـدد مختلفـة. فالـرواق الممتـد مـن بـاب المغاربـة إلى بـاب السلسـلة عمّـر فى سـنة ٧١٣هــ/١٣١٣م، والـرواق الممتـد مـما يـلى منـارة بـاب السلسـلة إلى قـرب بـاب الناظـر عمّـر فى سـنة ٧٣٤هــ/١٣٣٧م، والـرواق الممتـد مـن بـاب الناظـر إلى قـرب بـاب الغوانمـة عمّـر سـنة ٧٠٧ هــ/ ١٣٠٧م. وعمّـر السـور القبـلى عنـد محـراب داود، وهـو جـزء مـن سـور المدينـة الممتـد مـن المسـجد الأقـصى إلى زاويـة السـور الجنوبيـة الشرقيـة عنـد مهـد عيـسى عليـه السـلام. ورُخّـم صـدر المسـجد الأقـصى، أى حائـط المسـجد الجنـوبى، وفُتـح بالمسـجد المذكـور الشـباكان اللـذان عـلى يمـين المحـراب وشـماله فى سـنة ٧٣١هــ/١٣٣١م. وجـدد تذهيـب قبـة المسـجد الأقـصى وقبـة الصخـرة حـوالى سـنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م.

لقـد كان المسـجد الأقـصى أعظـم الأثـر فى الحيـاة الدينيـة والاجتماعيـة والثقافيـة والسياسـية فى القـدس - كـما كان مـن أكـبر المؤسسـات التعليميـة فى الإسـلام، ومركـز الاحتفـالات الدينيـة الكـبرى فى المدينـة المقدسـة، ومقـر الحيـاة السياسـية، فكانـت تعقـد فيـه الاجتماعـات وفيـه كانـت تعلـن بـراءات تعيـين كبـار موظفـى الدولـة وبويـع فيـه بعـض الخلفـاء وكانـت تتـلى فيـه المراسـيم السـلطانية!

عصر صلاح الدين وبنى أيوب

كان أول عمـل قـام بـه السـلطان صـلاح الديـن الأيـوبى مؤسـس الدولـة الأيوبيـة عنـد فتحـه بيـت المقـدس اسـترجاعه الأماكـن الإسـلامية التـى كان قـد اسـتولى عليهـا الصليبيـون. وقـد جـدد محـراب المسـجد الأقـصى وبنـاه بالرخـام وأرّخ ذكـرى فتـح بيـت المقـدس فى سـنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وهـذه الكتابـة موجـودة الآن فـوق المحـراب المذكـور. وأحـضر المنـبر الـذى أمـر بصنعـه الشـهيد نـور الديـن محمـود بـن زنـكى سـنة ٥٦٤هـ/١١٦٩ خصيصـاً لينقـل إلى المسـجد الأقـصى عنـد فتـح بيـت المقـدس. والمنـبر مصنـوع مـن الخشـب ومرصّـع بالعـاج والأبنـوس، وتشـاهد فيـه دقـة الصناعـة الإسـلامية التـى كانـت شـائعة فى تلـك الأيـام. وللأسـف الشـديد أضرم النـار فيـه صهيـونى صبـاح يـوم ١٩٦٩/٩/٢١ محـاولاً بذلـك حـرق المسـجد الأقـصى.

وبنـى السـلطان صـلاح الديـن أسـوار مدينـة القـدس وأبراجهـا التـى كانـت تهدمـت، وشـارك بنفسـه فى تشـييد الأسـوار وتحصينهـا ، ولا يـزال جـزء كبـير منهـا موجـوداً إلى الآن. وحفـر الخنـدق الـذى يحيـط بسـور المدينـة مـن بـاب العمـود إلى القلعـة فى بـاب الخليـل.

وفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م جدد قبة الصخرة وزيّن داخلها بالزخرفة العربية بماء الذهب على ما يُرى فى وقتنا الحاضر. وأسس الخانقاه الصلاحية الواقعة فى الشمال الغربى من كنيسة القيامة فى حارة النصارى وجعلها رباطاً للصوفية وعين عليها الشيخ غانم بن على. وأسس المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية مكان الكنيسة المعروفة بكنيسة القديسة حنة عند باب الأسباط ووقف عليها وعلى مصالح المسجد الأقصى المبارك أوقافاً حسنة منها الأسواق الثلاثة المتحاذية المعروفة اليوم بسوق العطارين والملحامين والصياغ.

ومن أهم آثار عصر الدولة اللأيوبية : الزاوية الخثنية التى أسسها صلاح الدين بظاهر جدار الأقصى الجنوبى ، عين العروب ، الجامع العمرى (جامع عمر) ، المدرسة الميمونية ، قبة المعراج ، قبة سليمان ، زاوية الشيخ الجراح ، المدرسة الناصرية فى منتصف السور الشرقى ، زاوية الدركاء وكانت مقراً لنواب القدس ، زاوية الهنود ، القبة النحوية وكانت مقراً لقاضى القضاة ، برج الملك داود عيسى أبى العزائم المعظم الذى تقف عليه منارة جامع القلعة ، سبيل مشعلان بالشمال الغربى لقبة الصخرة ، المدرسة المعظمية الحنفية ، و بيمارستان ، وخانقاه للصوفية .

هذا بخلاف ما شيد فى عصر سلاطين المماليك ، وفى عصر الإمبراطورية العثمانية .. من مساجد قباب ومدارس و زوايا و رباطات و خانقاوات و تكايا و أسبلة و حمامات و خزائن كتب ، وكلها تؤكد على أن «زهرة المدائن» كانت واحدة من منارات الثقافة الإسلامية الكبرى فضلاً عن مكانتها الروحية .

منارة للعلم والثقافة

كان فتح السلطان «صلاح الدين الأيوبى» لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٧٨م بداية سعيدة للحياة العلمية التى عمّت ديار الشام عامة وفلسطين خاصة. ولم تمنع صلاح الدين مشاغله الحربية وهمومه السياسية من الاهتمام بالعلم وأهله، وإعادة بناء ما خرّبه المغول والتتار والصليبيون من دور علم، وما أحرقوه من خزائن كتب، وما هدموه من مدارس وجوامع ومنشآت حضارية تمثل الوجه الناصع للحضارة العربية الإسلامية.

استهل صلاح الدين عهده فى فلسطين بعملين جليلين هما إنشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية. فقد عمد إلى تحويل الدار التى بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة «الاسبتارية» إلى مدرسة كبرى (هى المدرسة الصلاحية) يُدرس فيها الفقه الشافعى. ويقول العماد الأصفهانى: «فاوض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار فى مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للعلماء الصوفية فعيّن للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنّة عند باب الأسباط وعيّن دار البطرك للرباط ووقف عليهما وقوفاً». ويقول مجير الدين العليمى مشيراً إلى حرص صلاح الدين على تزويد هذه المدارس بالكتب: «إن السلطان صلاح الدين أمر بهدم البناء الذى أقامه الصليبيون فى الصخرة، وأعادها كما كانت ورتّب لها إماماً حسن القراءة ووقف عليها داراً وأرضاً وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة».

وقد سار الأيوبيون على سنّة صلاح الدين فى تأسيس المعاهد العلمية وتزويدها بالمدرسّين والكتب المخطوطة. فقد جدّد الملك المعظم عيسى

بـن أحمـد بـن أيـوب بنـاء المدرسـة الناصريـة، أو الغزاليـة، وجعلهـا زاويـة لقـراءة القـرآن والاشـتغال بالنحـو .

وفى فلسـطين خزائـن كتـب عامـة وخاصـة كثـيرة. فأمـا العامة فأشـهرها خزانة المسـجد الأقـصى فى القـدس. ويبـدو مـن مراجعـة فهرسـها أنهـا تحـوى كتبـاً دينيـة مخطوطـة قـدّر عددهـا بألـف مخطـوط كالمصاحـف والربعـات وكتـب أكثرهـا فى العصريـن المملـوكى والعثـمانى. وفى الخزانـة أيضـاً كتـب متفرقـة فى الأدب والفقـه عـلى المذاهـب الأربعـة والتفسـير والحديـث.

وفى الخزانة نحو عشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع.

أما خزائن الكتب الخاصة فكثيرة منها:

١) خزانة آل أبى اللطف بالقدس.

٢) خزانــة آل البديــرى بالقــدس. وأسرة البديــرى أسرة عريقــة كانــت لديهـم خزائـن كتـب مخطوطـة تبـدّدت بعـد أن اقتسـموها. وآل قسـم مـن مخطوطاتهـا إلى الشـيخ محمـد البديـرى فجعلهـا فى جنـاح من أجنحة المسـجد الأقـصى.

٣) خزانة آل الترجمان بالقدس.

٤) خزانة آل الجوهرى بنابلس.

٥) خزانة آل الحسينى بالقدس.

٦) خزانة آل الخالدى بالقدس.

٧) خزانـة آل الخليـلى بالقـدس. وقـد وقفهـا الشـيخ محمـد بـن محمـد الخليـلى مفتـى الشـافعية المتـوفى سـنة ١١٤٧هــ/١٧٣٤م. ويقـال إن الشـيخ الخليـلى أول مـن حقـوق فكـرة إيجـاد مكتبـة عامـة فى القـدس اسـتناداً إلى وقفيـة كتبـه. وقـد حفظـت الكتـب المذكـورة فى المدرسـة البلديـة التـى كان

أنشـأها ببـاب السلسـلة نائـب السـلطان الأمـير سـيف الديـن منـكلى بغـا الأحمـدى المتـوفى سـنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م.

٨) خزانة آل الدّاودى بالقدس.

٩) خزانـة آل صوفـان بنابلـس وفيهـا مخطـوط نفيـس عنوانـه: «مناقـب الإمـام أحمـد بـن حنبـل» مـن تأليـف الحافـظ بـن الجـوزى مـؤرخ سـنة ٥٩٩هـ.

١٠) خزانـة عبـد اللـه مخلـص (١٨٧٨ - ١٩٤٧م) بالقـدس فى حـى الشـيخ جـرّاح، وقـد حـوت نفائـس المخطوطـات. ويبـدو أن المكتبـة نقلـت بعـد حـوادث ١٩٤٨ إلى بعـض الأديـرة التـى قـرب سـور المدينـة مـن داخـل. وقيـل إن الصهيونيـين نهبوهـا إبّـان معـارك ١٩٤٨.

١١) خزانـة آل قطينـة بالقـدس ببـاب العمـود: آل قطينـة أسرة حنبليـة يقـال إنهـم الحنابلـة الوحيـدون فى القـدس. وفى الخزانـة مخطوطـات نفيسـة فى الرياضيـات والفلـك والتنجيـم لم يبـق منهـا اليـوم شـئ.

١٢) خزانة محمد إسعاف النشاشيبى بالقدس.

١٣) خزانـة محمـود اللحـام بضاحيـة سـلوان (شرقـى القـدس) وفيهـا أربعـة آلاف مصنـف.

١٤) خزانـة آل فخـرى وقـد وقفهـا القـاضى فخـر الديـن أبـو عبـد اللـه محمـد بـن فضـل ناظر الجيـوش الإسـلامية المتوفى سـنة ٧٣٢هــ/١٣٣٢م. وهذه الخزانـة قسـم مـن الخانقـاه الفخريـة المجـاورة لجامـع المغاربـة. ويقـال إنهـا كانـت تحتـوى عـلى عـشرة آلاف مجلـد اقتسـمها أفـراد الأسرة فتفرّقـت كتبهـا.

١٥) خزانة آل الموقت بالقدس.

١٦) خزانة المفتى فى غزة.

١٧) الخزانة الإسلامية فى يافا.

١٨) خزانة أبي نبوت في يافا.

١٩) خزانة جامع الجزار في عكا.

٢٠) خزانة جامعة بيرزيت.

وفي القدس وسواها من مدن فلسطين خزائن كتب مسيحية عربية وأجنبية أكثرها تابع للطوائف الدينية والبعثات الأثرية والتبشيرية الفرنسية والإنكليزية والأمريكية، ومنها:

١) خزانة دير الكرمليين في الضاحية الشرقية من حيفا، وفيها صكوك قديمة ذات علاقة بالدير.

٢) مكتبة القبر المقدس.

٣) مكتبة دير الروم، وفيها ٢,٧٣٣ مجلداً باليونانية وغيرها بينها مخطوطات يونانية مؤرخة في القرن العاشر للميلاد.

٤) مكتبة دير الدومينيكان.

٥) مكتبة الآباء البيض.

٦) مكتبة دير الفرنسيسكان.

٧) مكتبة دير الأرمن.

٨) خزانة الآثار الأمريكية.

٩) خزانة الآثار الإنكليزية.

١٠) مكتبة المجمع العلمي الأثري البروتستاني.

وتعد المكتبة الخالدية في القدس أهم دور الكتب الخاصة في فلسطين وأغناها. وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدي ابنة القاضي موسى أفندي الخالدي قاضي عسكر بر الأناضول، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدي رئيس المحكمة الشرعية بيافا (المتوفى سنة ١٩٥١) أن يقفها وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية. فنفذ وصيتها سنة

١٣١٨هـ/١٩٠٠م بمشورة ومعونة الشيخ طاهر الجزائرى مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق والشيخ أبى الخير محمد ابن الحبال الدمشقى فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. وقد جاء فى «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» وصف للظروف التى تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة: «وفق الله جانب الفاضل راغب أفندى الخالدى وموسى شفيق أفندى الخالدى إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة فى القدس الشريف وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم وأجدادهم، وأضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أى فرد كان، وشرّطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة، وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء، وعيّنوا لها محافظاً أميناً».

وتحتوى المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة فى العلوم العربية والإسلامية. وقد ضمّت إليها خزانتا الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدى ومحمد روحى الخالدى، وضمّت بعدئذ إليهما خزانة الشيخ أمد بدوى الخالدى بالإضافة إلى ما أهدى إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين .

المزارات المسيحية المقدسة

منذ القرون الميلادية الأولى، انتشرت الكنائس فى فلسطين حيث عاش السيد المسيح وأمه السيدة مريم العذراء .. كما انتشرت أديرة النساك والرهبان خاصة فى القدس والكرمل والناصرة، وما زالت كنائس القدس قائمة، يدفعها إلى العمل تلك المنزلة الروحية التى تخطى بها الأرض

المقدسة. ومن أشهر هذه الكنائس:

كنيسة القيامة:

وتعد من أهم وأعظم الآثار المسيحية، وتمثل ذروة ترف البناء وفى تيجان الذهب والمجوهرات الكريمة النادرة، وكل ما فيها بلغ نهاية الروعة الفنية.

ومن الطريف أن سدنة كنيسة القيامة وحملة مفاتيحها: مسلمون ينتسبون إلى أسرة الصحابية الجليلة «نسيبة بنت كعب» وقد توارثت هذا الشرف منذ عصر صلاح الدين الأيوبى عقب اختلاف الطوائف المسيحية على إدارة الكنيسة، وتزدان الكنيسة بالقناديل والثريات الفاخرة وتتحلى بمجموعة من أندر الصور والأيقونات والتماثيل المرمرية.

وتمتد أمام واجهة كنيسة القيامة فى الجهة الجنوبية ساحة تقوم شرقها وغربها بنايات مختلفة من أديرة وكنائس صغيرة. وإذ يدخل المرء الكنيسة يصعد من عن يمينه إلى الجلجلة ويواصل من عن يساره السير إلى القبر المقدس الذى يحيط به بناء مسقوف فساحة مستديرة تحدق بها أعمدة كبيرة تسند رواقاً عظيماً. وأمام القبر المقدس يقوم محور المكان كله. وهو المسمى خورس الروم، أو كنيسة نصف الدنيا التى يحيط بها رواق طويل بجانبه معابد صغيرة ويؤدى شمالاً إلى كنيسة الآباء الفرنسيسيين وديرهم وينزل منه شرقاً إلى كنيسة القديسة هيلانة ومغادرة وجدان الصليب.

وقد شهدت كنيسة القيامة خلافات بين الروم الأرثوذكس واللاتين خلال الاحتلال الصليبى، حتى تمكن اللاتين من السيطرة عليها، إلى أن أعادها السلطان صلاح الدين إلى الروم الأرثوذكس، إلا أن الخلافات استمرت بين الطوائف المسيحية، ولذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف بكنيسة القيامة ومنع الصادمات فى أحقية إحداها فى دخول القبر المقدس

يوم سبت النور، فعقد مجلس بدار المحكمة الشرعية سنة ١٥٤٢ برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين وبحضور ممثلى الطوائف، وحدد المجلس طريقة الدخول إلى القبر المقدس ومواعيد الزيارة.

بطريركية الروم الأرثوذكس :

بالقرب من كنيسة القيامة. وكان الموضع مركز ملوك القدس أيام الصليبيين. ويعود البناء إلى أزمنة مختلفة. ويمكن أن ينزل من طرف سطح الدير الشرقى إلى القبر المقدس. وللرهبان الذين يخدمون فى الكنيسة مساكن فى القيامة عينها. وإلى ذلك فعند ساحة القيامة شرقاً دير هو دير القديس إبراهيم الذى اشتروه سنة ١٦٦٠م من الأحباش وأكملوه وعثروا تحته نحو سنة ١٦٩٠ على كنيسة قديمة تعرف بكنيسة الرسل.

دير الآباء الفرنسيسكان:

وينسب هذا الدير إلى مؤسسة القديس «فرنسيس الأسيزى» الذى ولد بمدينة «اسيزى» الواقعة بمقاطعة «اومبريا» الإيطالية عام ١١٨٢م، وتوفى بها عام ١٢٢٦م.

وهو «أكمل صورة للمسيح» على حد قول أحد البابوات، ومن أقرب القديسين إلى قلوب المسيحيين. وقد زار القديس فرنسيس فلسطين سنة ١٢١٩م. وقبل ذلك بسنتين (١٢١٧م) أنشأ «مقاطعة الأرض المقدسة»، وسميت «حراسة»، وأرسل أول رهبانية إلى البلاد.

على رأس الرهبان الفرنسيسكان «حارس الأراضى المقدسة» ومجلسه، وينتمى هؤلاء إلى ٢٢ دولة وتعمل إلى جانبهم الراهبات الفرنسيسيات. وكانت مهمتهم الأولى، ولا تزال، العناية بالأماكن المقدسة، وعددها أربعون

مقامـاً، واسـتقبال السـياح وخدمتهـم. ولهـم فى أبرشـية القـدس ١٤ رعيـة. ومن أعمالهـم الاجتماعيـة والثقافيـة ريـاض الأطفـال والمـدارس الابتدائيـة والثانويـة والـدروس والأبحـاث العليـا والأنديـة والمراكـز المهنيّـة والمياتـم وبيـوت الفقـراء والمـرضى. وقـد أسّسـوا سـنة ١٨٤٧م مطبعـة تعـدّ مـن أهـم المطابـع فى القـدس.

دير السلطان:

منـذ قديـم الزمـان، جـرى العـرف عـلى إطـلاق أسـماء القديسـين عـلى الأديرة السـميحية .. وهـذا الديـر، هـو الوحيـد الـذى يحمـل اسـماً إسـلامياً .. وهنـاك روايـة بـأن السـلطان صـلاح الديـن قـد وهبـه لأقبـاط مـصر، فنسـبوه إليـه عرفانـاً بفضلـه، ويشـير ويليامـز السـائح Williams أنـه لمـا زار الديـر سـنة ١٨٤٣ روى لـه قسـيس بـأن أحـد سـلاطين المماليـك عـرض عـلى كاتبـه القبطـى نظـير إخلاصـه فى خدمتـه مـدة طويلـة مكافـأة ماديـة، فاعتـذر عـن قبولهـا، والتمـس أن يسـمح لـه بتعمـير الديـر الخـرب بالقـدس، ومـن هنـا جـاءت التسـمية!..

وقـد حافـظ الأقبـاط عـلى هـذا الديـر. ولم ينتـزع منهـم إلا عندمـا احتلـه الرهبـان اللاتـين إبـان الاحتـلال الصليبـى للقـدس، ولكـن صـلاح الديـن أرجعـه إليهـم بمجـرد دخولـه القـدس، وفى عهـد الملـك الصالـح نجـم الديـن أيـوب أمـر بإعـادة بنـاء سـورة، كـما أمـر الملـك المنصـور قـلاوون (١٢٩٠) بـألا يمنـع الأحبـاش مـن دخـول هيـاكل القيامـة أو ديـر السـلطان، بنـاء عـلى طلـب ملـك الحبشـة، لأن اللاتـين الموجوديـن هنـاك كانـوا يضايقونهـم. وليـس معنـى هـذا ملكيـة الأحبـاش لهـذا الديـر، لأن رتشـموند - الـذى كان مديـراً لمصلحـة الآثـار بفلسـطين - أيـام الإنتـداب البريطـانى - قـد ذكـر أنـه منـذ سـنة ١٤٠٠

كان للأقباط حقوقهم بمقدسات القيامة.

كنيسة الصعود:

عند جبل الزيتون (الطور) ثلاث قمم .. الشمالية منها تسمى: جبل الجليل، وعليها بيت أسقف أريحا للروم وتسمى هذه القمة «كرم الصياد» .. وعلى القمة الثانية نجد «مكان الصعود» وترتفع عن مستوى الحرم الشريف بنحو ستين متراً وتبعد عنه مسافة سبعمائة متر .. والقمة الثالثة تضم قبور لأنبياء وهى فى مستوى الحرم .. ويذكر الرحالة «تيوفيتوس» فى يومياته أن القديسة هيلانة شيدت كنيسة محل الصعود. وذكر غيره أنها أقامت أيضاً بناءً، آخر دعى الزيتونات عند المغارة التى تنبأ عندها المسيح بخراب أورشليم ومجيئه الثانى. وليس لهما أثر واضح حالياً، إذ تعرضا للتدمير أثناء معركة قامت بين الصليبيين وصلاح الدين هناك، ولم يبق من الكنيسة سوى قبة صغيرة تركها صلاح الدين لأن المسلمين يحترمون مكان الصعود، حيث يؤمنون بأن المسيح رفع حياً إلى السماء، وقد حصل الأقباط على أذونات كتابية بالصلاة فى الجانب الشرقى، من القضاة والحكام المسلمين فى أزمنة مختلفة، كذلك منح هؤلاء، إذناً بالصلاة مرتين فى السنة وهو ما يتم حتى الآن.

وأما الصخرة التى صعد المسيح منها إلى السماء فيبدو عليها أثر لإحدى قدميه، وكانت محاطة بسور معدنى. وفى القرن ١١م بنى البندكت جداراً حولها، وتقام هناك مذابح مؤقتة للطوائف تقدم عليها الصلاة عشية عيد الصعود من كل عام.

كنيسة نياحة البتول وطريق جنازتها:

على بعد عشرين متراً من باب النبى داود (فى السور الجنوبى). نجد عموداً على حائط. تذكاراً للأعجوبة التى حدثت عندما كان تلاميذ المسيح حاملين جسد السيدة العذراء مريم إلى قبرها فى الجسثمانية فى شرق القدس إذ هجم عليها بعض اليهود المتعصبين. وتجاسر أحدهم على أن يدفع التابوت المقدس من يد حامليه فيبست يده فى الحال. كما عميت عيناه وكل من كانوا يشاركونه هذا الفعل الردئ. ولكنهم ندموا على عملهم. فصلى التلاميذ من أجلهم فشفاهم الله وآمنوا بالمسيحية. وقد روى مؤرخ أرمنى فى القرن الخامس أنه كانت هناك - فى هذا المكان - قبة على أربعة أعمدة من الرخام فوقها صليب نحاسى، تهدم أثناء هجوم الفرس سنة ٦١٤م. وبعد عشرة أمتار نجد كنيسة نياح البتول. وهى كنيسة حديثة البناء يسكنها الرهبان البندكت الألمان. وتقع بالقرب منه علية صهيون (بيت مارمرقس) وهو المكان الذى عاشت فيه العذراء فى بيت يوحنا الرسول، (بناء على طلب المسيح) حتى نياحتها. وكان الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى قد اشترى هذا المكان، ووهبه للرهبان الألمان الكاثوليك «البندكت».

دير البندكتين:

ينتسب البندكتيون إلى القديس بندكتس Benedictus أو مبارك Benoit (٤٨٠ - ٥٤٧م)، الذى يعد «أبا رهبان الغرب» وأحد منظمى الحياة التقشفية فى القرون الوسطى.

ويقوم الدير على جبل صهيون الحالى فى بستان «النياحة» حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها. وقد قدم

المكان السلطان عبد الحميد لغليوم الثانى إمبراطور ألمانية سنة ١٨٩٨م فجعله هذا ملكاً للكاثوليك. فبنى الألمان الكاثوليك هناك (١٩٠٠م) ديراً وكنيسة على اسم «رقاد العذراء» مستديرة وفق فنون مختلفة من الهندسة. وفى سنة ١٩٠٦ سلم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان فزينوا الكنيسة بالفسيفساء، وجعلوا منها مزاراً جذاباً، واشتهروا بالنشاط الأدبى والعلمى والهندسة والصناعة، وأقاموا متحفاً فلسطينياً.

وفى حرب ١٩٤٨ احتل الجيش الإسرائيلى الدير والكنيسة وحل الدمار والنهب بهما وبالمتحف. فأكره الرهبان على مغادرة الدير !

- **طريق الآلام** : و هو الطريق الذى سار فيه السيد المسيح من قصر بيلاطس حتى الجلجثة، و يعبر المدينة المقدسة من الشرق إلى الغرب. وفى صباح كل يوم جمعة، يقوم الحجاج المسيحيون من مختلف الأجناس يقودهم رهبان فرنسيسكان، باقتفاء آثار هذه الخطى بدءاً من كنيسة الجلد وانتهاء بكنيسة القيامة، وتنقسم أعظم طريق قدسية إلى أربعة عشر مرحلة، وتشير كل مرحلة إلى حدث وقع فى المكان أثناء السير الأخير للسيد المسيح قبيل صلبه، فتسعُ من هذه المراحل تقع على امتداد طريق الآلام وخمس داخل كنيسة القيامة.

و للروم الأرثوذكس بالمدينة المقدسة ١٩ ديراً للرهبان و خمسة أديرة للراهبات ، و يطلق على هذه الرهبانية « أخوية القبر المقدس « .

كنيسة المهد ببيت لحم :

استمدت « بيت لحم « أهميتها و شهرتها العالمية من مولد السيد المسيح فيها ، و قد وضعته السيدة مريم العذراء فى مذود فى مغارة قريبة من

القريـة ..
فى حـوالى سـنة ٣٣٠م شـيد الإمبراطـور الرومـانى « قسـطنطين « كنيسـة فـوق المغـارة ، سـميت بكنيسـة القديسـة مريـم .. و فى روايـة أخـرى ، أن القديسـة « هلانـه « أم الإمبراطـور قسـطنطين هـى التـى شـيدت هـذه الكنيسـة ، و ظلـت قائمـة حتـى عـام ٥٢٩م عندمـا دمرهـا السـامريون خـلال ثورتهـم عـلى الإمبراطوريـة الرومانيـة ، فأعـاد الإمبراطـور « جوسـتنيان « بنائهـا بشـكلها الحـالى تقريبـاً و أصبحـت تسـمى « كنيسـة المهـد « .
و قـد شـيدت هـذه الكنيسـة عـلى الطـراز البازليـكى ، و يـزدان صحنهـا بأربعين عمـوداً مـن الرخـام الفاخـر ، بـكل جانـب صفـين مـن الأعمـدة و طـول كل عمـود سـتة أمتـار تنتهـى بتيجـان ، و ينقسـم الصحـن إلى خمسـة أروقـة ، و سـقفها مـن الخشـب ، و يرتفـع فـوق الأعمـدة حائطـين لمسـافة عـشرة امتـار ، يزينهـما أحـد عـشر شـباكاً ، و بالكنيسـة هيـكل أوسـط لـه حنيـة شرقيـة ، كـما هـو الحـال فى الكنائـس القبطيـة القديمـة .

مغارة المهد :

يهبـط إليهـا بدرجـات حجريـة ، و لمـا كانـت المغـارة مـن صخـر جـيرى لـين فقـد تـم تدعيمهـا بالعقـود ، فضاقـت حتـى اصبحـت مسـاحتها ١٢,٥ × ٣ أمتـار .. و إلى الـشرق نجـد تجويفـاً مسـتديراً يشـير إلى مـكان ميـلاد السـيد المسـيح . و أرضيتهـا مرصوفـة بالرخـام الأبيـض تتوسـطه نجمـة مسـمرة ، منقـوش عليهـا باللاتينيـة (منـذ عـام ١٧١٧) عبـارة : (هنـا قـد وُلـد يسـوع المسـيح مـن العـذراء مريـم) .
و فى آخـر المغـارة مـن الجهـة الشـمالية نجـد بـابً يقـود إلى هيـكل القديـس يوسـف النجـار ، تـذكاراً للحلـم الـذى رآه هنـاك و دعـاه الملاك إلى الهـرب إلى مـصر .

زهرة المدائن فى عيون مسيحى و مسلم

المكانــة الدينيــة العظيمــة لزهــرة المدائــن فى نفــوس المســلمين : يؤكدهـا كـثرة مـن رحـل إليهـا مـن الرحالـة الـرواد و رواة الحديـث والمؤرخـين ، وسـجلوا مشـاهداتهم وإنطباعاتهـم عنهـا ، كذلـك رحـل إليهـا كثـير مـن العلـماء المسـلمين للتعليـم وطلـب العلـم ولقـاء علـماء القـدس والأخـذ عنهـم.

كذلـك نشـطت لـدى المسـيحيين فكـرة الحـج إلى المـزارات المقدسـة التـى شرفهـا السـيد المسـيح فى القـدس والنـاصرة وبيـت لحـم ، فتوافـد إليهـا عـلى مـر العصـور الرحالـة والحجـاج المسـيحيون وأسـاقفة ورهبـان ، وكثـير منهـم دونـوا مشـاهداتهم فى مؤلفـات أجمعـت عـلى المكانـة لتلـك المـزارات المقدسـة .

وتجـدر الإشـارة أيضـاً ، إلى توافـد كثـير مـن الفنانـين المسـتشرقين الذيـن سـجلوا بريشـاتهم مشـاهد «بانوراميـة» للقـدس العتيقـة وعـلى رأسـهم «دافيـد روبرتـس» و «تيـودور فريـر» و «بارتليـت» و «باورنفيـد» .. وأبـرزت إبداعاتهـم جبـال القـدس وغابـات الزيتـون ومضـارب البـدو ، وبالطبـع مجموعـة الحـرم القـدسى الشريـف والمـزارات المسـيحية المقدسـة ، ومشـاهد مـن الحيـاة اليوميـة للفلسـطينيين وأزيائهـم التقليديـة .

كـما كانـت القـدس مـن باكـورة المـدن الـت إسـتقطبت فـن التصويـر الفوتوغـرافى بـدءاً مـن عـام ١٨٤١ وشـكلت مجموعـات «ماكسـيم دوكان» و «فرانسـيس فريـث» و «سـيبا» و «بونفيـس» .. و أهميـة خاصـة ووثائـق

تاريخيـة صادقـة الملامـح للقـدس والمقدسـيين وطابعهـا العـربى المميـز .
وبعيـداً عــن نصــوص الرحالــة التقليديــة وأهميتهــا ، فقــد فضلــت وتخــيرت إنطباعــات مقدســية حديثــة، وبالتحديــد فى عهــد الإنتــداب البريطــانى:

القدس كما عرفها د. نقولا زيادة

د. نقــولا زيــادة كاتــب ومــؤرخ لبنــانى شــهير ، مــن أصــل فلســطينى ، عــاش ودرس فى القــدس مــا بــين عامــى ١٩٢١ - ١٩٤٧ ، ســجل إنطباعاتــه المقدسـية عـن هـذه الفـترة ، فكتـب : «عرفـت القـدس لنحـو ربـع قـرن تقريبًا بـين سـنتي ١٩٢١ و١٩٤٧. لكـن هـذه الفـترة يمكـن تقسـيمها إلى ثـلاث : أولاها طالـب علـم في دار المعلمـين ١٩٢١-١٩٢٤ ؛ وثانيتهـا زائـر زيـارات متتابعـة أثنـاء عمـلي في مدرسـة عـكا الثانويـة ١٩٢٥-١٩٣٥ ؛ وثالثتهـا مقيـم في القـدس ، أسـتاذا في الكليـة العربيـة ١٩٣٩-١٩٤٧. وكان لـكل مـن هـذه الفـترات سـبيل للتعـرف عـلى القـدس يختلـف اختلافًـا جذريًـا عنـه في الأخريـين» .

بعـد دخولنـا دار المعلمـين عـام ١٩٢١ بنحـو أسـبوعين تقريبًـا ، قـال لنـا مديـر دار المعلمـين الدكتـور خليـل طوطـح إنـه سـيرافق الطـلاب الجـدد جماعـات لزيـارة المدينـة بقصـد التعـرف عـلى معالمها.شـعرت بمنتهـى الغبطـة لذلـك الإعلان.كانـت الزيـارة الأولى لسـور القـدس. هـذا السـور بنـاه السـلطان سـليمان القانـوني سـنة١٥٤٣. كانـت ثمـة أجـزاء صغـيرة مـن الأسـوار تعـود في تاريخهـا إلى فـترات سـابقة,لكن الصيغـة الأساسـية هـي تلـك التـي تمثـل عنايـة السـلطان سـليمان بالمدينـة المقدسـة.

كان سـور القـدس لا يـزال قائمـا ، درنـا حولـه مـن الخـارج حينـا ومـن الداخـل حينًا,ودخلنـا مـن بوابـة وخرجنـا مـن أخـرى.

خرجنـا مـن مبنـى دار المعلمـين وسرنـا بضـع دقائـق فوصلنـا بـاب الزاهـرة (السـاهرة) ، وهـو أحـد الابـواب في الجهـة الشـمالية مـن السـور. لم ندخـل المدينـة ولكننـا جارينـا السـور مـن الخـارج متجهـين غربًـا ، فوصلنـا بعـد دقائـق بـاب العامـود. ولـه اسـم آخـر هـو بوابـة دمشـق ، لأن الطريـق الـذي يبـدأ عنـده ويتجـه شـمالاً كان ، في نهايـة المطـاف ، يصـل بالمسـافر إلى دمشـق. بعـد بضعـة أمتـار مـن بـاب العامـود نـدور بزاويـة السـور ، ونصعّـد في اتجـاه شـمالي جنـوبي في شـارع السـلطان سـليمان إلى الزاويـة الجنوبيـة الغربيـة مـن السـور ، ماريـن بالبـاب الجديـد الـذي فتـح أيـام عبـد الحميـد الثـاني (١٨٧٦-١٩٠٩).ذلـك أن المنطقـة المصاقبـة للسـور مـن الداخـل كانـت قـد ازدحمـت بالسـكان والمـدارس ، وأصبـح الوصـول إليهـا مـن الأبـواب الأخـرى شـاقا ، فـكان فتـح هـذا البـاب تيسـيرًا لأعـمال السـكان.

بعـد البـاب الجديـد ببضعـة أمتـار نصـل إلى الزاويـة الجنوبيـة الغربيـة للسـور إذ بعدهـا يتجـه السـور شرقـا مـع ميـل نحـو الجنـوب حتـى يصـل بـاب الخليـل (الـذي كان يسـمى بوابـة يافـا ، لأنـه يـؤدي في نهايـة المطـاف إلى يافـا عـلى السـاحل) ، وفيهـا كان يتـم انتقـال السـكان القادمـين بحـرًا ، زائريـن لـلأراضي المقدسـة أصـلا ، وتجـارا ورسـلا سياسـيين إلى البـلاد فيـما بعـد.

في الجهة الجنوبية من السور يقع باب رئيسي هو باب داود. هذا الباب كان يصل أرباض القدس الخارجية بالداخل.ويسمى أحيانًا ، عند الطوائف المسيحية «باب العليّة» . ذلك بأن العشاء الأخير الذي أعد للسيد المسيح,والذي قبض فيه عليه لمحاكمته والحكم بصلبه ، أقيم في قاعة كبيرة في الدور الثاني مما يسميه أهل القدس «عليّة» .

دخلنا من باب الخليل إلى ساحة القلعة حتى وصلنا باب داود ثم سرنا داخل المدينة محاذين لساحة الحرم الشريف ، إتجهنا شمالاً ثم إستدرنا غربًا ، فإذا نحن مرة ثانية أمام باب الزاهر . تسلقنا السور حيث يمكن,وأشرفنا على جزء من المدينة القديمة.

كانت الزيارة الثانية لساحة الحرم الشريف.والدكتور طوطح كان يعرف تاريخ القدس ، وقد وضع كتابا في تاريخها بالاشتراك مع بولس شحادة صاحب مرآة الشرق. ومن هنا كانت رفقته في زيارة القدس أكثر من مجرد وقوف على الأطلال.

يومها رأيت للمرة الأولى أثرًا عربيًا إسلاميًا مطعمًا بالفن البيزنطي في قبة الصخرة المشرفة ، وتخطيطا لجامع كبير بناه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي كي تبدو عظمة الإسلام لزائري المدينة المقدسة.

أما الزيارة الثالثة ، فكانت إلى كنيسة القيامة ، التي بنتها الملكة هيلانه أم الإمبراطور البيزنطي قسطنطين (٣١٢-٣٣٧) ، وهو الذي اعتنق المسيحية ، وجعلها أولاً دينًا من الأديان المعترف بها في الإمبراطورية ،

ثـم اتُخـذت فيـما بعـد ، ديـن الدولـة الرسـمي. جـاءت هيلانـه لزيـارة الأرض المقدسـة ، وبنـت كنيسـة ، حيـث ولـد المسـيح في بيـت لحـم وأخـرى ضخمـة في القـدس .

لا يتسـع المقـام هنـا لوصـف مفصـل لـكلا المكانـين كنيسـة القيامـة وسـاحة الحـرم الشريـف . والـذي قصدتـه أنـا مـن هـذه الروايـة إننـي ، أنـا شـخصيا ، أخـذت بالفـن الـذي تمثـل في مبنيـين رئيسـيّن للمسـيحية والإسـلام . شـغفت بالمكانـين ، ومـا أكـثر مـا زرتهـما ، وأنـا تلميـذ في دار المعلمـين . كنـت أحمـل معـي كتابًـا وأذهـب إلى سـاحة الحـرم أجلـس عـلى الأرض راكـزًا ظهـري عـلى جـدار الصخـرة أو المسـجد الاقـصى ، مسـتمتعا بالهـدوء والطمأنينـة ، التـي كانـت تمثلهـما أسراب الحـمام التـي تطـير في الأجـواء ، وتبـدو كأنهـا تسـبح في عـالم الأحـلام - مثـلي أحيانـا .

أمـا كنيسـة القيامـة فكنـت أذهـب للصلاة فيهـا ، لكـن لأن القـداس ، بمـا فيـه قـراءة الإنجيـل ، كان يتـم باليونانيـة ، فقـد عزفت عـن زيـارة العبادة. ولكـن في إحـدى السـنوات قضيـت أربعًا وعشرين سـاعة داخل كنيسـة القيامة لأحـضر الطقـوس الدينيـة المتعلقـة بالسـيد المسـيح . وكانـت تجربـة لا يمكـن أن تنـسى . لكـن القـدس التـي عرفتهـا تلـك السـنوات لم تقتـصر عـلى زيـارة المكانـين المقدسـين,وهما ليسـا القـدس كلهـا .

لندخـل الآن إلى قلـب المدينـة المقدسـة. كنـا ننتقـل مـن المدرسـة إلى بـاب العامـود لندخـل إلى المدينة.هنـاك كنـت اجتـاز شـارعا مهـمًا - بـاب أو شـارع خـان الزيـت ، هـذا يبـدأ بعـد دخولـك بـاب العامـود بنحـو خمسـين مـترا.

هـو شـارع مسـقوف بزجـاج أصفـر قليـلاً ، بحيـث يمكـن للنـور أن يدخـل اليـه.كان الشـارع ضيقـا ومبلّطـا ، ولم يكـن يسـمح للخيـل أو الجـمال بالمـرور فيـه - حتـى الحمـير كانـت تجتـازه عـلى مضـض .

في هـذا الشـارع مطاعـم يلجـأ إليهـا القادمـون مـن الريـف لقضـاء حاجاتهـم ، وكانـت في هـذا الشـارع حوانيـت لـكل مـا يحتـاج إليـه الرجـل العـادي ، وكان زبائنـه خاصـة مـن أهـل الريـف المقـدسي ، كان هـؤلاء يقصـدون القـدس يـوم الجمعـة للصلاة في المسـجد الأقـصى . وعندهـا يمـرون بهـذا الشـارع ليبتاعـوا حاجاتهـم عـلى اختـلاف أنواعهـا – ثيابًـا ، أدوات منزليـة ، مـواد غذائيـة وأشـياء لا توجـد في القـرى .

الشـارع يبـدو طويـلاً ، إذ إنـه يجـدر بـك أن تسـير وئيـدًا كي لا تـؤذى. وكان في نهايتـه طريقـان: واحـد إلى اليمـين يوصلـك إلى كنيسـة القيامـة والآخـر إلى اليسـار يحملـك إلى الحـرم الشريـف.

فـإذا خرجـت مـن سـاحة كنيسـة القيامـة صعـدت بضـع درجـات يمينـا لتجـد نفسـك أمـام سـوق يبـاع فيهـا كل مـا يأمـل الزائـر أن يحملـه معـه مـن آثـار الأرض المقدسـة: مـن مجسـمات لكنيسـة القيامـة وكنيسـة المهـد إلى صلبـان أنيقـة الصنـع إلى لوحـات رسـمت أو نقشـت عليهـا صـور القديسـين وكنائـس القـدس وبيـت لحـم ، إلى مسـابح لا يحـصى لهـا عـدد ، إلى الكتـاب المقـدس مجموعًـا أو مجـزءًا يضمـه ويحنـو عليـه غـلاف مـن خشـب الزيتـون أو الصـدف. وهـذا كلـه لا يعـدو أن يكـون أمثلـة لمـا تجـد هنـاك. وفي الأسـبوع السـابق ليـوم الفصـح كانـت الشـموع المختلفـة الحجـم والزخـرف تزيـن الحوانيـت هنـاك.

وأنـت إذا انتهيـت مـن هـذه الفسـحة المحـدودة وجـدت نفسـك في سـوق حـارة النصـارى. هـذه السـوق كنـت تجـد فيهـا كل مـا يلزمـك أو زوجـك مـن القـماش أو الأثـواب الجاهـزة . وكان فيهـا محـلان لـكي الطرابيـش!

ولنخـرج مـن بـاب الخليـل : عندهـا يبـدأ شـارع يافـا ، الـذي كان يجاري سـور القـدس. شـارع يافـا كان أول منطقـة انتقـل إليهـا تجـار المدينـة القديمـة - وكان ممـن انتقلـوا اليهـا «ميشـيل مَنّـه» الـذي ابتعـت مـن محلـه بدلـة للتخـرج ١٩٢٤ ، كـما نقـل إليـه عـدد كبـير مـن الحوانيـت التـي أصبحـت تحتـل أماكـن أوسـع وأصبحـت أجمـل ترتيبـا.

بالنسـبة لي كانـت هنـاك مكتبـة فلسـطين العلميـة لصاحبيهـا بولـس ووديـع سـعيد (وهـذا الأخـير هـو والـد الدكتـور إدوارد سـعيد الكاتـب والناقد والمفكـر والسـياسي المعـروف) .

ومـن أطـرف المقاهـي التـي سـمعت عنهـا في القـدس يومهـا مقهـى البرسـتول ، الـذي كان خلـف السـور مبـاشرة وقـد ثقـب السـور خصيصًـا للوصـول إليـه. هـذا ، الـذي عرفتـه فيـما بعـد ، كان مطعـمًا وبـارًا عـلى النمـط الإنجليـزي . في نهايـة سـور القـدس المصاقـب لشـارع يافـا كانـت سـاحة صغيرة تسـمى سـاحة البوسـطة(فيـما بعـد سـاحة اللنبـي)وفيهـا يقـع المطعـم الوطنـي ، الـذي عرفتـه مبـاشرة أثنـاء زيـاراتي المتكـررة إلى القـدس مـن عـكا .

ومـا دمنـا قـد أصبحنـا خـارج السـور فلنتحـدث عـن ضواحـي القـدس . ونحـن إذا بدأنـا في الجهـة الشـمالية الشرقيـة ، وجدنـا وادي الجـوز ، الـذي يبـدو أن سـكانه ، وقـد خرجـوا مـن المدينـة القديمة,كانـوا من أصحـاب الأعمال

الصغيرة أو المتوسطة ، لكن عندما نتجه غربًا ، نقع على حي الحسينية الذي يقوم على تلة مرتفعة قليلاً وتزينه بيوت قليلة لكنها جميلة. وهناك كانت تقع مباني دار المعلمين المتواضعة .

وبعد هذه المباني - إلى الشمال منها - كان يقوم مبنى كبير هو المدرسة الأمريكية للدراسات الأثرية.وإلى الشمال من حي الحسينية يقع حي الشيخ جراح, الأقل مساكن, ومن سكانه إسعاف النشاشيبي,ولكنه الحي الذي نما على نحو سريع في السنوات التالية.

وأكبر حي خارج السور في الشمال كان حي المصرارة,الذي يصله باب العامود بداخل المدينة. كان الأكثر ازدحامًا وتنوعًا سكانيًا,ويكاد يتمتع ببعض الاستقلال من حيث حوانيته,التي كانت تلبي حاجات السكان الأساسية.وأكبر معالم هذا الحي المدرسة الدستورية,التي أنشأها خليل السكاكيني سنة ١٩٠٩ ، تيمنا بإعادة الدستور ١٩٠٨ .

وكانت ثمة مدارس ثانوية في القدس ، بعضها كان يعود تأسيسه إلى أواسط القرن التاسع عشر. منها مدرسة سانت جورج (مدرسة المطران) ، التي كانت تقوم على نظام المدارس الداخلية في إنجلترا من حيث التدريس والعناية بالأخلاق والنظام والرياضة . كان مديرها يومها رينولدز,الذي تولى إدارتها نحو ثلث قرن.

وفي الجهة الغربية من القدس ، وعلى مسافة ليست باليسيرة كانت تقوم مدرسة شنِلّر الالمانية، التي أنشئت سنة ١٨٦٢ واسمها الرسمي دار

الأيتام السـورية .

وتعتـبر مدرسـة الفريـر النمـوذج الفرنـسي للتربيـة والتعليـم في القـدس. وهـي واحـدة مـن عـشرات المـدارس ، التـي فتحتهـا منظمـة الفريـر الكنسـية في أنحـاء العـالم . وكانـت للبنـات كليـة مـس روبرتسـون (المدرسـة الإنجليزيـة للبنـات) .

كـما كان في القـدس مدرسـتان أخريـان مهمتـان للبنـات : الأولى ألمانيـة هـي مدرسـة شـميت والثانيـة فرنسـية هـي كليـة مـار يوسـف .

أمـا المـدارس العربيـة فالرسـمية منهـا كانـت المدرسـة (الكليـة فيـما بعــد) الرشـيدية التـي أنشـئت في أواخـر العهـد العثـماني ، وتولـت إدارة فلسـطين البريطانيـة شـئونها بعـد الحـرب. وكانـت هنـاك روضـة المعـارف وهـي مدرسـة عربيـة خاصـة. وقـد أنشـأ المجلـس الشرعـي الإسـلامي الأعـلى الكليـة الإسـلامية التـي كانـت تعنـى بإعـداد الموظفـين الذيـن يعملـون في المحاكـم الشرعيـة أو مـع المحامـين الذيـن يتعاملـون معهـا.

وفي مقابـل دار المعلمـين كانـت ثمـة دار المعلـمات التـي أنشـئت في بـدء عهـد الإدارة البريطانيـة.
كانـت «مـرآة الـشرق» لبولـس شـحادة وبيـت المقـدس لبنـدلي مشـحور تصـدران في القـدس (جريـدة الجامعـة العربية صـدرت١٩٢٥) .

كان للقـدس مـن قبـل دور علمـي كبـير عـلى نحـو مـا كانـت عليـه كـبرى المـدن في العـالم الإسـلامي.وقد خرّجـت هـذه عـددًا مـن العلـماء والأدباء والشـعراء ، كـما أن عـددًا مـن علـماء بيـت المقـدس تلقـوا العلـم في الأزهـر الشريـف لكـن سـني الحـرب العالميـة الأولى ، أخـرت هـذه النواحـي.وكان لا بـد أن يمـر بعـض الوقـت قبـل ان تعـود إلى المدينـة مكانتهـا العلميـة .

و نشـأت جمعيـات جديـدة ونشـطت القديمة.الجديـد كان جمعيـة الشـبان المسـلمين ، ونشـط النـادي اللاتينـي بعـض الـشيء واسـتمرت جمعيـة الشـبان المسـيحية في نشـاطها .

و كانـت تقـوم دار واحـدة عربيـة للسـينما في منطقـة بـاب العامـود يوم كنـت تلميـذًا في القـدس كان اسـمها سـينما القـدس الكبـيرة . وقـد احترقـت سـنة ١٩٢٣. وظلـت القـدس العربيـة خاليـة مـن دار للسـينما . إلى أن فتحـت أول دار سـينما عربيـة سـنة ١٩٢٥ وحـضرت فيهـا فيلـم الـوردة البيضـاء لعبـد الوهـاب ..!

أحمد رمزى بك .. وإنطباعات مقدسية

كان « أحمـد رمـزى بـك « قنصـلاً عامـاً لمـصر فى تركيـا ، كـما كان قنصـلا عامـا فى سـوريا ولبنـان ، ثـم صـدر القـرار الملكـــى بتعيينـه قنصـلا عامـا لمـصر فـــــــى القـدس وعمـوم فلسـطين ، بالاضافـة الى شـهرته كمـؤرخ ومحقـق للخطـط .. وقـد دون ذكرياتـه عـــن أول زيـارة لـه للمسـجد الأقـصى وكانـت فى شـهر رمضـان ، ١٤ ديسـمبر سـنة ١٩٣٥ .. كتـب أحمـد رمـزى بـك :

« وصلت الى مدينة القدس فى نهاية سنة ١٩٣٥ لأتولى عملاً جديدا ولألقى وجوهاً جديدة ، وكان أول ما قمت به هو توجهى لزيارة المسجد الأقصى وكان ذلك فى شهر رمضان .. دخلته وقد غمرتنى نفحه من نفحات الله ، جعلتنى أشعر فى قرارة نفسى بحوادث التاريخ الجلى ، وكأن كل ركن من أركان هذا المسجد يشير إلى ، وكان كل حجر من أحجار قبته يحادثنى ، ثلاثة عشرة مائه من السنين ، تركة ضخمه من الجهاد والمجد ،هل يدرك أهلها ما هى ؟! .. هل تكون للأمم الاسلاميه التى نعيش وسطها ونحيا لها عودة ؟ وهل تقوى أذرعتها ونفوسها الواهية على حمل الأمانة ؟ .. لم تعد تفكر فى شىء سوى ملاذها وتكالبها على المادة وما تسوقه اليه غرائزها ، حينما فقدت كل عناصر القوة والانفة وانحطت الى درجة الجماد فلم تعد تهمها هذة المساجد والمدارس .. كنت أطوف بالمسجد وأنا أتأمل كل ذلك وأقول متى تتحرك أمم العروبة وتنهض من كبوتها وتستيقظ من نومها العميق .. ان كل ما أراه أمامى يدعو الى الأسى والألم ، وهم بعيدون كل البعد عن حيوية المبادىء التى قامت عليها الرسالة المحمدية الكبرى .

سرت فى انحاء الحرم وهو متسع الأرجاء وتخيلته فى نفسى بفيض مصفوف المصلين ، كان يبدو لى صحنه ووجهاته وجوانبه يوم الفتح الاكبر ، يوم دخله سلطاننا صلاح الدين بجند مصر فأقام أول صلاة للجمعه فيه ، وكيف تبارى العلماء والفضلاء فجهز كل منهم خطبة بليغة طمعاً فى أن يكون خطيب ذلك اليوم ! .. كنت أفكر كيف أذن المؤذنون على منائر المسجد الأقصى وأسواره فارتجت المدينة بأصوات التكبير والتهليل ، ومر أمامى كيف تقدم الملك السلطان المتواضع بقبة الصخرة فرسم

للقاضى محيى الدين محمد بن زكى الدين على القرشى أن يخطب ، وكيف ألبسه العماد الكاتب جبة سوداء من تشاريف الخلافه العباسية فلبسها وصعد المنبر واستفتح بسورة الفاتحه ثم شرع فى الخطبه .. و كان كل هذا يمر أمام عينى ورأسى مطرق وأحبس الدمع فى عينى حتى انتهيت فدخلت الى المحراب لأقرأ أثر السلطان المجاهد بحروف ذهبية : « أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على ال مؤسس عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة» فأديت تحية المسجد فى هذا المحراب الخالد ترحمت على بانيه وعلى أرواح الشهداء وشعرت براحه تملأ نفسى حينما خرجت ماراً بمدرسة قايتباى سلطان مصر ، وقد غمر الايمان نفسى وتملكتنى نشوة لم أتمالك لسانى عن التعبير عنها عندما إلتقيت سماحة مفتى فلسطين الأكبر ...

خواطر رمضانية

ما من رحالة أو زائر للحرم القدسى الشريف فى شهر رمضان .. إلا و كان ملء قلبة مشهد من الروعة والجلال .. الساحة الفسيحة للحرم والأسوار والمشاهد الأثرية التى تحيط بقبة الصخرة .. وروعة التكبيرات تنساب من داخل الأقصى وكأنما هى آتية من عالم الغيب ، والقناديل الخافقة فى أرجائة كأنما ترعد من جلال التكبير .. « والظلال تفضل الضوء فتكتب سطراً من الجمال رائعاً أو تخط آيه من آيات السجده فى هذا الحرم العظيم يقرؤها كل ذى قلب فتسجد

جبهتـه أو يسـجد قلبـه « !

ويحـرص المقدسـيون عـلى الصـلاة بالمسـجد الأقـصى وسـاحته خـلال أيـام رمضـان ، وفيـــــه كانـت تعقـد حلقـات دينيـه فى تفسـير القرآن والفقـه وعلـم الحديـث وسـيرة النبـى .. يتـولى التدريـس فيهـا نخبـة مـن العلـماء الأجـلاء المشـاهير مـن فلسـطين والـدول العربيـة والاسـلاميه ، ولـكل منهـم يـوم محـدد .

وكانـت « المملكـة المصريـة « حريصـه عـلى إرسـال نجـوم « دولـة التـلاوة « الـــــالمسجد الأقـصى فى رمضـان .. وعلـــــى رأسـهم الشـيخ مصطفـى اسـماعيل والشـيخ محمـد صديـق المنشـاوى والشـيخ عبـــــد الباسـط عبدالصمـد والشـيخ أبـو العينـين شعيشـع .. وكـــــم تـرددت أصواتهـم الملائكيـة .. الخالـدة .. بـين جنبـات وأروقـــة الأقـصى .

كـما كانـت صـلاة التراويـح بسـاحة الأقـصى مشـهداً إيمانيـاً رائعـا ً ، يسـتمر حتـى سـاعة متأخـرة مـن الليـل .. والبعـض كان يواصـل تعبـده حتـى صـلاة الفجـر .. وكثـير مـا كان يـأتى إلى القـدس مسـلمون مـــــن مختلـف بقـاع العـالم الاسـلامى للاعتـكاف فى العـشر الأواخـر مـن رمضـان بداخـل المسـجد الأقـصى ..

أمـا يـوم الجمعـه اليتيمـة مـن أيـام رمضـان ، فـكان عيـداً عظيـماً فـــــى هـذا الحـرم المبـارك .. والجمـوع تزحـف مسـتبشرة شـطر المسـجد الأقـصى ، يهتـدى بسـيرها مـن لا يهتـدى طريقـه .. تمـر بهـذة العقـود الحانيـة علـــى طريـق التاريـخ « الطريـق المـدرج « تحمـل الأبنيـة العاليـة كأنهـا

عقـود السـنين تنـوء بمـا تحمـل مـن أحـداث ومواقـف ، ومـــا أدراك مـا يـوم « الجمعـه اليتيمـه « فــــــى المسـجد الأقـصى .. عيـد إسلامى يشـارك فيـه الجميـع ، الرجـال والنسـاء والاطفـال ، ويحـرص عـلى شـهودها ضيـوف الرحمـن مـن أرجـاء فلسـطين والعـالم الاسـلامى ..

وكان كثـير مــن رجــال القــدس وشــبابها يفضلــون قضــاء ســهراتهم الرمضانيــة في المقاهــى أو « المضافــات» يســتمعون الى شــاعر الربابــة أو « الحكـواتى « .. الـذى كان يتصـدر المقهــــــــى ، مرتديـاً زيـاً مميـزاً : السروال الأبيـض الواسـع وصديريـة حمـراء ومعطفـاً وشـماغ (غـترة) وكان يخصـص لـــه مقعـداً عاليـاً يـزدان برسـومات مـن الخيـال الشـعبى ، وينشـد فى جـو مـن البهجـه والانسـجام بعـض مـن السـير الشـعبية مثـل تغريبـة بنـى هـلال وسـيرة الظاهـر بيـبرس والزيـر سـالم وعنـترة بـن شـداد والأمـيرة ذات الهمـه .. وحكايـات مـن ألـف ليلـة وليلـة .

ومـن أشـهر المقاهـى بمدينـة القـدس والتـى كانـت تقـدم هـذا اللـون مـن السـهرات الشـعبيه ، مقاهــى ، البسـاطى ، زعـتره ، ومقهـى صيـام بمدخـل بـاب العامـود .. وكان أشـهر الحكواتيـة الشـيخ « صالـح خميـس « .. كمـــا كان يعقـد فــــى ليالـــــى رمضـان خاصـة مـا يعـرف بــ « السـامر « وهــى احتفـالات شـعبيه سـاهرة ، كانـت تعـرف أيضـاً بــ « السـحجه « و « الدحيـة « .. وتـؤدى فيهـا أغـانى وأشـعار « المواليـا « بشـكل جماعـى وبالتنـاوب بـين فريقـين متقابلـين مصحوبـــــاً بالتصفيـق و بأشـكال بسـيطة مـن الرقـص الشـعبى : الدبكـة ، شـمالية ، شـعراوية ، كراديـة ، طيـارة ، ابراهيميـه .. ومـا بـين العتابـا والميجنـا .. يعـزف عـلى الشـبابة والمجـوز .. ومـن الأغلنـى الشـهيرة التـى تحتضـن آمـال الشـعب وحنيتـه : « الدلعونـه « .. و « بـارودتى حبوبتـى

.. مـا احـلى طلـق زنادهـا « و « يـارب تكـبر مهـرتى .. تكـبر ونـا خيالهـا « !
مـضى عـلى هـذه الخواطـر بـكل مـا تحملـه مـن بهجـة ومـرارة أكـثر مـن
ثمانـين عامـاً ، فهـل لنـا أن نأمـل فى يـوم تعـود فيـه فلسـطين الى شـعبها .. وان
يعـود « الحكـواتى « فى ليـالى رمضـان لـيروى تغريبـة بنـى فلسـطين ؟!

مؤامرة تهويد القدس
والصمت العربى والعالمى المريب !

أكذوبة اسطبل داود :

عقب دخوله البيت المقدس ، أمر الناصر صلاح الدين بإزالة روث الخيل من صحن المسجد الأقصى ، تماماً مثلما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن تسلم المدينة المقدسة .. ومنذ سنوات تروج الدعاية الصهيونية لإكتشافهم اسطبل خيل الملك داود ، وأن آثاره موجودة تحت المسجد ، وهو اسطبل داود بالفعل ، لكنه ليس داود الملك ، وإنما «داوود بن عيسى بن أحمد بن أيوب» المعظم السلطان الأيوبى ابن شقيق الناصر صلاح الدين الذى تولى السلطنة بعد الملك الكامل بإسم «الناصر داوود» والذى إستعاد القدس ثانية عام ٦٣٧هـ من جيوش الصليبين الذين نقضوا عهدهم مع صلاح الدين !

وما اسطبل و برج «داوود» بالأكاذيب الوحيدة ، فهم يحاولون إيجاد أى دليل يربط موضع الأقصى بهيكلهم المزعوم .

ولم يكف الصهاينة عن التنقيب الأثرى والبحث عن جذور لليهود فى فلسطين ، فمنذ عام ١٩٢٥ نشطت الجامعة العبرية فى مجال التنقيب بإشراف «سوكنيك» والد «ايجال يادين» رئيس الأركان الأسبق ، وفشل فى

بحثه التوراتى ، ثم قام يادين نفسه بحفريات فى «حازور» خلال السنوات ١٩٥٥ - ١٩٥٨ وكانت الدورية العلمية الفرنسية الشهيرة : Les Dossiers d'Archeologie, Paris, no ١٦٥-١٦٦ ، قد خصصت ملفاً أثرياً وتاريخياً لمدينة القدس ، إعتمدت فيه على الآثاريين الإسرائيليين ونتائج حفرياتهم فى مواقع مختلفة .. وفيه اعترف الباحث الإسرائيلى «بروسحى» أن السلطة الإسرائيلية وجهت التنقيب الأثرى بعد عام ١٩٦٧ نحو مدينة القدس أو ما يسمى - مدينة داود - وأشار إلى الأعمال الأثرية التى قامت بها العالمة البريطانية «كينيون» فى جنوب الحرم الشريف وبالقرب من بوابة دمشق وغيرها ، بدءاً من عام ١٩٦١ ، وتابع بروسحى التنقيب فى بساتين الأرض وفى سفوح الأسوار ، كما قام آثاريون إسرائيليون : شيلوخ ، بركاى ، افيجاد ، مازار ، مائير بن دوف .. بحفائر فى منطقة المدافن وحول الحرم القدسى ، وقد إستطاعت البريطانية - الجريئة - كينيون أن تنقض جميع الفرضيات التى قامت على الإدعاء التوراتية غير العلمية بنظرها !..

كما اعترف «بروسحى» بقوله : «لم نعثر مطلقاً على أى أثر أو شاهد للهيكل» !.. واستمر هاجس البحث عن الهيكل يشغل وزارة الأديان ومصلحة الآثار فى إسرائيل ، لكنهم لجأوا إلى التعتيم على نتائج التنقيب الفاشلة فى العثور على أثر للهيكل ، مما يعنى أن مدينة داود لم تكن حقيقة ، وأن عدم إكتشاف هيكل هيرودس يعنى أن اليهود لم يتمتعوا فى عهده بإعتراف السلطات الرومانية ، مما يتناقض مع ما ورد فى التوراة التى أقرت بأن «هيرودس» كان أكثر الحكام بطشاً لليهود !

ويشيد الباحث الإسرائيلى «زافير» إلى أن القدس فى عام ٧٠م

أصبحت تحت حكم «تيتوس» الرومانى الذى احرق المعبد وهدم المدينة ولم يبق سوى على بعض الأسوار فى جنوب المدينة التى حملت اسم «ايليا كابيتولينا» ثم اجتاح البيزنطيون الشرق ، وفى عام ٣٢٦م جاء قسطنطين مع أمه هيلينا لزيارة المدينة المقدسة حيث أنشأ فيها الكنائس الأولى وأصبحت القدس مركزاً للنشاط المسيحى مع بيت لحم مهد المسيح .. ثم تعرضت المدينة لإجتياح الفرس «وتراجعت مكانتها حتى الفتح الإسلامى عام ٦٣٨م ، فبدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التى كانت عليها فى عصر اليبوسيين وإزدهرت معمارياً وإجتماعياً « .. وتؤكد الآثرية الإسرائيلية «مريام ايليون» : «ان كل ما نراه ضمن أسوار القدس يعود إلى العصر الإسلامى ، وتمثل المبانى القائمة جميع العهود التى تعاقبت على القدس فى العصر الإسلامى ، وأن الحفريات التى تمت فى جنوب الحرم بقصد إكتشاف أثر للهيكل قد فشلت وما عُثر عليه من آثار يعود إلى عهد الأمويين ، حتى جدار المبكى أكدت لجنة البراق الدولية أنه أثر إسلامى» !

و مازالت الحفريات تتوالى بالرغم من فشل علماء الآثار ، وعلى رأسهم الإسرائيلين فى تقديم أى دليل آثرى على مزاعم التوراة !.. بل أن الإكتشافات الآثرية فى فلسطين والقدس خاصة تتعارض تماماً مع أساطير التوراة !

سرقة الأرض و التاريخ

زعماء الكيان الصهيونى من « بن جوريون « إلى « نتنياهو « تحدوهم الرغبة دائماً فى قهر الإرادة العربية و الإسلامية ، بانتزاع درة المسلمين

الغاليــة .. فخـلال حـرب يونيـو ١٩٦٧م، أحكـم الإحتـلال الإسرائيـلى قبضتـه عـلى القـدس .

و فى ١١ يونيـو ١٩٦٧م عقـدت الحكومـة الإسرائيليـة اجتماعـاً لبحـث ضـم القـدس إلى إسرائيـل ، و فى ٢٧ يونيـو تقدمـت الحكومـة بمـشروع قـرار الضـم إلى الكنيسـت ، الـذى وافـق عـلى القـرار رقـم ٢٠٦٤ الخـاص بضـم القـدس سياسـياً و إداريـاً ، و فى اليـوم التـالى أصـدرت الحكومـة مـا يسـمى : أمـر القانـون و النظـام رقـم ١ لسـنة ١٩٦٧م بإخضـاع المدينـة للقوانـين و النظـم الإداريـة الإسرائيليـة .

فى ٣٠ يونيـو عـام ١٩٨٠م أقـر الكنيسـت مـا سـمى بالقانـون الأسـاسى ، الـذى ينـص عـلى اعتبـار مدينـة القـدس بشـطريها عاصمـة موحـدة أبديـة لإسرائيـل ، و مقـراً لرئاسـة الدولـة و الحكومـة و الكنيسـت و المحكمـة العليـا ! .. و ضمـت سـلطات الإحتـلال فى إجـراءات تهويـد المدينـة ، فى طابعهـا المعـمارى و المرافـق و التعليـم و الثقافـة و الإسـتيطان ، و الإعتـداء عـلى المقدسـات الإسـلامية و المسـيحية و هـدم العقـارات و تهجـير السـكان العـرب !

و الفكـر الصهيـونى بالنسـبة للقـدس ، يتمثـل واضحـاً فى قـول الإرهـابى الراحل بيجـين : « لا وجـود لدولـة إسرائيـل بـدون القـدس ، و لا وجـود للقـدس بـدون الهيـكل « !

و قبيـل مصرعـه بنحـو ثلاثـة أشـهر ، قـال رابـين : « القـدس التـى عـلى

الأرض ، هـى ملـك خـاص للإسرائيليـين ، أمـا العـرب فلهـم القـدس التـى فى السـماوات« !!

و النـشرات الدعائيـة الخاصـة بالمركـز الإعلامـى الإسرائيـلى بالقـدس ، تزخـر بفقـرات تكشـف حـرص الإسرائيليـين عـلى تزييـف التاريـخ ، كمكـون رئيـسى فى الفكـر الصهيـونى ، فبعـد سرقـة الأرض .. يسرقـون أيضـاً التاريـخ ! .. تقـول إحـدى النـشرات المسـمومة : « القـدس هـى عاصمـة إسرائيـل ، و فيهـا مقـر الحكومـة ، و هـى المركـز الروحـى و القومـى للشـعب اليهـودى ، منـذ أن بناهـا الملـك داود و جعلهـا عاصمـة لمملكتـه عـام ١٠٠٠ق.م ، و لم تكـن القـدس أبـداً ، باسـتثناء العهـد القصير للمملكـة الصليبيـة ، عاصمـة إلا لدولـة يهوديـة ، كان ذلـك طـوال قـرون عديـدة فى العصـور القديمـة و مـرة أخـرى منـذ عـام ١٩٤٨م .. « !!

كان اسـتيطان القـدس مـن أهـم ركائـز الدعـوة لـدى زعـماء الصهيونيـين الـذى كانـوا يـرددون أمـام بسـطاء اليهـود فى العـالم باسـتمرار أحـد المزاعـم اليهوديـة التـى تقـول : « إن أقدامنـا كانـت تقـف عنـد أبوابـك يـا قـدس ، يـا قـدس التـى بقيـت موحـدة « .

و حـين انتهـت الحـرب العربيـة - الإسرائيليـة عـام ١٩٤٨م تمكنـت القـوات الإسرائيليـة مـن تحقيـق نصـف ذلـك الحلـم الصهيـونى . فقـد احتلـت ٦٦,٢٪ مـن المسـاحةالكلية لمدينـة القـدس . و لكـن البلـدة القديمـة و مـا فيهـا مـن مقدسـات ظلـت بيـد العـرب .

ثـم جـاءت حـرب ١٩٦٧م لتمكـن القـوات الإسرائيليـة مـن إحـكام قبضتهـا عـلى الجـزء المتبقـى مـن المدينـة . و فى ١٩٦٧/٦/٨م كان الحاخـام شـلومو غوريـن - حاخـام جيـش الدفـاع الإسرائيـلى آنـذاك يقـف عـلى رأس ثلـة مـن الجيـش بالقـرب مـن الحائـط الغـربى للحـرم القـدسى الشريـف (حائـط المبـكى) و يقيـم شـعائر الصـلاة اليهوديـة معلنـاً فى ختامهـا أن حلـم الأجيـال اليهودية قـد تحقـق . فالقـدس لليهـود و لـن يتراجعـوا عنهـا و هـى عاصمتهـم الأبديـة.

و فعـلاً جـاءت الإجـراءات الإسرائيليـة فى مدينـة القـدس منـذ ذلـك الحـين لتؤكـد هـذه المقولـة .

ففـى ١٩٦٧/٦/١١م أى بعـد احتـلال القـدس كلهـا بأيـام عقـدت الحكومـة الإسرائيليـة اجتماعـاً لبحـث ضـم القـدس إلى إسرائيـل و توالـت اجتماعاتهـم إلى أن تقدمـت للكنيسـت بتاريـخ ١٩٦٧/٦/٢٧م بمـشروع قـرار لضـم القـدس إلى إسرائيـل .

و لقـد وافقـت الكنيسـت فى اليـوم نفسـه عـلى قـرار الضـم و جـرى إلحـاق القـدس العربيـة بإسرائيـل سياسـياً و إداريـاً بموجـب الأمـر رقـم ٢٠٦٤ .

و فى اليـوم التـالى أصـدرت الحكومـة الإسرائيليـة مـا سـمى أمـر القانـون و النظـام رقـم ١ لسـنة ١٩٦٧م و أخضعـت بموجبـه منطقـة تنظيـم مدينـة القـدس للقوانـين و النظـم الإداريـة الإسرائيليـة.

و فى ١٩٨٠/٧/٣٠م ، و بعـد ثلاثـة عـشر عامـاً مـن إجـراءات الضـم و التهويـد

، أقـرت الكنيسـت الإسرائيليـة مـا سـمى القانـون الأسـاسى للقـدس الموحـدة الـذى نـص عـلى اعتبـار مدينـة القـدس بشـطريها عاصمـة موحـدة لإسرائيـل و مقـراً لرئاسـة الدولـة و الحكومـة و الكنيسـت و المحكمـة العليـا . و يدعـو القانـون إلى اتخـاذ الإجـراءات التـى مـن شـأنها تنفيـذ نصـوص هـذا القانـون .

و كانـت السـلطات الإسرائيليـة قـد شرعـت منـذ بدايـة الإحتـلال تنفـذ الإجـراءات الراميـة إلى تهويـد المدينـة و إحـكام القبضـة الصهيونيـة عليهـا . و يمكـن إيجـاز هـذه الإجـراءات عـلى النحـو التـالى:

تهويد المرافق العامة و الخدمات . و قد تمثل ذلك فى :

١) حـل مجلـس أمانـة القـدس العربيـة و إلحـاق موظفيهـا و عمالهـا ببلديـة القـدس المحتلـة منـذ عـام ١٩٤٨م .

٢) تهويـد القضـاء بنقـل مقـر محكمـة الإسـتئناف مـن القـدس إلى رام اللـه ، و فـك ارتبـاط القضـاء النظامـى فى مدينـة القـدس عـن الضفـة الغربيـة ، و إلحـاق مواطنـى القـدس بالمحكمـة الشرعيـة فى مدينـة يافـا المحتلـة منـذ عـام ١٩٤٨م ، و تطبيـق القوانـين الإسرائيليـة الجزائيـة و المدينـة و الضريبيـة عـلى مواطنـى القـدس العربيـة و إخضاعهـم للقضـاء الإسرائيـلى .

٣) تهويـد مرافـق الخدمـات العامـة بإلغـاء الإدارات العربيـة و نقـل قسـم منهـا إلى خـارج مدينـة القـدس ، و ربـط سـبكتى الميـاه و الهواتـف بالقـدس العربيـة المحتلـة منـذ عـام ١٩٤٨م ، و إلحـاق الدوائـر العربيـة بالدوائـر الإسرائيليـة ، و سـن تشريـع يفـرض عـلى أصحـاب المهـن العـرب الإلتحـاق بالمؤسسـات الإسرائيليـة حتـى يسـمح لهـم بمزاولـة مهنهـم .

٤) نقـل عـدد مـن الـوزارات و الدوائـر الرسـمية الإسرائيليـة إلى القـدس العربيـة منهـا محكمـة العـدل العليـا و وزارة العـدل و مقـر رئاسـة الشرطـة و مكتـب الهسـتدروت و وزارة الإسـكان و مكاتـب المؤتمـر الصهيـونى و مقـر

رئاسة الوزراء .

٥) تهويد التعليم و الثقافة بإلغاء مناهج التعليم العربية فى المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث و تطبيق منهاج التعليم الإسرائيلى ، و الإستيلاء على متحف الآثار الفلسطينى، و حظر تداول مئات من الكتب الثقافية العربية و الإسلامية ، و إطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع و الساحات فى القدس العربية .

٦) تهويد الإقتصاد بعزل القدس جمركياً و اقتصادياً عن الضفة الغربية ، و اخضاع المرافق الإقتصادية و التجارية العربية لأنظمة الضرائب الإسرائيلية ، و لا سيما ضريبة القيمة المضافة ، تمهيداً لتصفيتها ، و الإستيلاء على شركة كهرباء القدس و تصفيتها باعتبارها المرفق الإقتصادى العربى الأكثر أهمية فى القدس .

محاولة القضاء على التراثين الإسلامى و المسيحى و تدمير المقدسات :

تمثل هذا النهج فى عدد من الإجراءات التى تمت ضد الأماكن المقدسة الإسلامية و المسيحية بهدف تدميرها و تشويه الطابع الحضارى لمدينة القدس و إزالة الأماكن المقدسة و القضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات إسلامية و مسيحية بالمدينة المقدسة . و يمكن إيراد بعض الأمثلة فى هذا المجال :

١) الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك و تحته للعثور على الهيكل الذى تدعى إسرائيل وجوده فى منطقة المسجد الأقصى . و قد ابتدأت الحفريات فى أواخر عام ١٩٦٧م و لا تزال مستمرة حتى الآن . و قد مرت هذه الحفريات بثمانى مراحل و أدت إلى هدم و تصديع الكثير من العقارات الإسلامية المجاورة للمسجد الأقصى .

ومـــا أثير فــــى وسـائل الاعلام خلال شـهرى المحـرم وصفـر ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م حـول قيـــام السـلطات الاسرائيليـة بحفائـــر بجـوار المسـجد الأقصـــــى ومشهـــد الجرافـــات الاسرائيلية وهـــى تهدم أجـــزاء مـــن بـاب المغاربة ، هـو اسـتمرار للمؤامـرة الاسرائيليـة عـلى الحـرم القـدسى الشريـف ، منـذ احتـلال المدينـة المقدسـة فـى حـرب يونيـو ١٩٦٧ ، والتـى اتخـذت مظاهـر وأسـاليب متعـددة بهـدف تخريـب هـذا الأثـر الاسـلامى الجليـل وازالتـه تمهيـداً لاقامـة مـا يسـمى بـ « هيـكل سـليمان « علـــى أنقاضـه ، وأعـمال الحفـر تمـت علـــى عـدة مراحـل بـدأت فـــى ذلـك العـــام الأسـود، مــــن أسـفل السـور الجنوبـى للحرم متجهة شـمالاً الـــى « بـاب المغاربـة « ومروراً بعـدد هائـل مـن المبـانى الدينيـة والحضاريـة الاسلامية ، وصـولاً الـــى أسـفل أبـواب الأروقـة الجنوبيـة الشرقيـة للمسـجد الأقصـــى ، والانفـاق تمتـد بعمق ١٣ مـتراً و٢٠ مـتراً فى بعـض المواضـع ، وفـى احداهـا ـ أسـفل الحـرم الشريـف ـ أقيـم كنيـس يهـودى مــــن طابقين وبداخلـــه « قـدس الأقـــداس « ويحتوى لفـائـــف التـوراة ، وفـى حفـل الافتتـاح قـال الحاخـام الاكـبر : « اننـا نحتفـل اليـوم بافتتـاح هـذا الكنيـس وقـــد أقمنـاه هنـا تحـت الحـرم مؤقتـا وغـداً سـنحتفل بهـدم هـذا الحـرم وقيـــام معبدنـا الكبـير واعـادة بنـاء هيكلنـا ، وهـى أرضنـا ولـن يبقـى أحـد مـن هـؤلاء العـرب فى بلادنـا « !

المسـجد الأقـصى ، وكل مجموعـة الحـرم القـدسى الشريـف ومـا حولهـا ، مهـددة بالانهيـار ، بالرغـم مـن قـرارات الأمـم المتحـدة والهيئـات الدوليـة ، و لكـن منـذ متـى يحـترم هـؤلاء قـرارات المنظـمات الدوليـة ، منـذ عـــام ١٩٦٧ ومجلـس الحاخامـات اليهـود بالتخطيـط مـــع جـنرالات العـدو والجماعـات اليهوديـة المتطرفـة ، يسـعون لهـدم الأقصـــى واقـــامة « الهيكـــل الثالـث « المقـدس .. هــــؤلاء قـوم لايحترمـون عهـوداً أو مواثيـق طبقـاً لصـلاة «كـول

فيدريـه « أو كل نـذرة .. التـــى تفتتـح بهـــا طقـــوس عيد الغفـــران «يوم كيبـور « وهـــــى اعـــلان بالتحلـل مـــن كل العهـود والمواثيـق التـى قطعهـا اليهـودى علـــــى نفسـه طـوال العـام .. هـل يعلـم مـن يسـعون وراء « وهـم السـلام « شـيئاً عـن صلاتهـم هـذه ؟ !

٢) إحـراق المسـجد الأقصى الـذى دبرته سـلطات الإحتـلال فى ١٩٦٩/٨/٢١م و المحـاولات التـى جـرت لنسـفه فى مطالـع عـام ١٩٨٠م عـلى يـد الحاخـام مئـير كاهانـا.

٣) الإعتـداءات عـلى الأماكـن المقدسـة الإسـلامية و المسـيحية و محاولـة إقامـة الصلـوات فى سـاحة المسـجد الأقـصى ، و سرقـة بعـض محتويـات كنيسـة القيامـة ، و اسـتملاك الأراضى التابعـة لبعـض الأديـرة المسـيحية فى القـدس ، و الإعتـداء عـلى المقابـر الإسـلامية .

و فـور الإنتهـاء مـن عمليـات المصـادرة والهـدم داخـل القـدس العتيقـة ، وفى إطـار المرحلـة الأولى مـن الإسـتيطان، أقامـت أول حـى سـكنى يهـودى فيهـا وسـوق تجاريـة ومعبـد يهـودى ، أقيمـت كلهـا عـلى أنقـاض أربعـة أحياء عربيـة هـى : حـى الـشرف ، حـى الباشـورة ، حـى المغاربـة ، وبـاب السلسـلة .

وتسـارعت وتـيرة الإسـتيطان داخـل المدينـة القديمـة ، متزامنـة مـع اجـراءات التهوديـة الأخـرى ، وعـلى رأسـها توسـيع سـاحة حائـط الـبراق عـلى حسـاب العقـارات الوقفيـة الإسـلامية ، وترحيـل الأسر العربيـة مـن المناطـق المجـاورة للحـى اليهـودى ، واصـدار القـرارات والقوانـين لتجريد المقدسـيين من أملاكهـم ، ووضـع اليـد عـلى المزيـد مـن الأراضى والعقـارات فى القـدس العتيقة

وخارج أسوارها ، وتزايد عمليات الحفر تحت الجدارين الغربى والجنوبى للمسجد الأقصى المبارك ، فى المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتى رام الله والبيرة ، وشرقاً حتى أبو ديس والعيزرية ، وغرباً حتى اللطرون ، وجنوباً حتى بيت لحم ، وبأقصى سرعة تم تنفيذ مشروعات استيطانية حتى عام ١٩٨١ تمهيداً لمشروع «القدس الكبرى» الذى إقتطع ٣٣٪ من مساحة الضفة الغربية ، بهدف عزل القرى العربية : شعفاط ، بيت حنينا ، الرام ، كفر عين ، الشيخ جراح وغيرها .. وواصلت السلطات الإسرائيلية تشويه الطابع العربى للمدينة بسلسلة من القلاع الخرسانية المتمثلة – المرحلة الثانية – فى تسع مستوطنات كبرى هى : رامات أشكول ، معلوت دفنا ، سانهدريا ، جبعات همفتار ، النبى يعقوب ، و حى التلة الفرنسية ، حى الجامعة العبرية ، تل بيوت ، تل عناتوت .. وجميعها داخل حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ .

ثم كانت المرحلة الثالثة أو الحزام الإستيطانى الثالث ، فى إطار مخطط عزل مدينة القدس نهائياً عن الضفة الغربية بسياجات من المستوطنات الضخمة ، وتقطيع أوصال الضفة الغربية جغرافياً وديموجرافياً والقضاء على كثافة الوجود الفلسطينى ، وشملت هذا الحزام الإستيطانى خمس عشرة مستعمرة هى : عطروت، جيلوها رجيلو ، روش ، جبعون الثانية ، نيفى حورون ، معاليه أدوميم الأولى والثانية والثالثة ، راموت ، بيت حورون ، جبعا حداشا ، مخميس ، جلميش ، برجات زئيف و جفعات زئيف .. دون أن نغفل الدعم الأمريكى واللوبى اليهودى من أجل أن تتوفر لمدينة «القدس الكبرى» كل عوامل الجذب وإستقطاب النشاطات الإستثمارية والسياحية والصناعية لليهود من جميع أنحاء العالم !

لقد تصاعدت فى العامين الآخيرين وتيرة الإستيطان اليهودى – دون أدنى إعتبار للأعراف والقوانين الدولية و «مفاوضات السلام» !.. حتى ينتهى مخطط تهويد القدس عام ٢٠١٥ كما أعلنت سلطات دولة الإرهاب !.. والتى أعلنت إلغاء الإقامة فى القدس لـ ١٤٥٦١ فلسطينياً خلال العام ٢٠١٣ ورفضت تسجيل شهادات ميلاد لعشرة آلاف طفل ولد بالمدينة المقدسة .. وفى عشية إستئناف المفاوضات الصهيونية – الفلسطينية وافقت بلدية القدس على بناء ٩٤٢ وحدة إستيطانية و ٤٠٠ فيلا للإسكان الفاخر !.. ثم ما يسمى بقانون الولاء والذى يتم بموجبه تفريغ القدس من أهلها الفلسطينيين بالإضافة إلى ١٢٠ ألف منهم ألقى بهم الجدار العازل إلى خارج القدس ، ويمضى مخطط تهويد المدينة العربية وإنتهاك الحقوق التاريخية ولا نملك سوى بيانات الشجب والإدانة !

وبينما تتشدق الإدارات الأمريكية المتعاقبة والإتحاد الأوروبى بـ»الشرعية الدولية» التى طُبقت فقط على العراق حتى تدميره (تتداعى إلى الذاكرة مانشتات الصحف العربية قُبيل الحرب على العراق : العراق أولاً ثم إسرائيل !) تجد هذه «الشرعية الدولية» تتوارى خجلاً أمام صلف دولة الإرهاب الصهيونى وعدم إلزامها بجميع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة الخاصة بالقدس بدءاً من القرار رقم ٢٢٣٥ فى الرابع من يوليو عام ١٩٦٧ وجميع القرارات التى نصت على «الغاء كل التدابير التى إتخذتها السلطات الإسرائيلية فى القدس والإمتناع فوراً القيام بأى عمل من شأنه أن يبدل من وضع القدس» .. كما تضمنت هذه القرارات رفض مجلس الأمن «إعتبار كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من

شـأنها أن تـؤدى إلى تغيـير فى الوضـع القانـونى للقـدس : إجـراءات باطلـة» و «يدعـو إسرائيـل بشـدة إلى أن تلغـى هـذه الإجـراءات» و «إبـداء الأسـف لعـدم إمتثـال إسرائيـل لهـذه القـرارات» !

فدولـة الإرهـاب الصهيـونى تتحصـن دائمـاً بالفيتـو الأمريـكى ، والدعـم بـلا حـدود وفى جميـع المجـالات مـن الإدارات الأمريكيـة - راعـى السـلام - الخاضعـة لتعليـمات لجنـة «ايبـاك» ودعـم الكونجـرس الأمريـكى الأكـثر صهيونيـة مـن الكنيسـت الصهيـونى !

حتى لا ننسى القدس

إنّ العهدة العمرية التي وقّعها الخليفة عمر بن الخطاب مع البطريرك صفرونيوس تُعتَبر أساساً استراتيجياً لعلاقة المواطنين المسلمين والمسيحيين وتعايشهم في القدس الذي دام على مدى قرونٍ طويلة، وإنّ المسلمين والمسيحيّين في القدس وفي أنحاء فلسطين كافة، هم شعبٌ عربي، والعهدة العمرية تعبيرٌ عن الامتداد التاريخي للثقافة والتراث العربيّيْن العريقيْن اللذيْن يقومان على الدفاع عن مبادئ الحق والعدل والسلام، وهو يتجلّى في مدينة القدس التي تشكّل امتداداً لرسالة العرب والمسلمين ومساهمتهم المتميزة في إثراء الحضارة الإنسانية.

و مدينة القدس أولى القبلتَيْن ومسرى الرسول الأعظم، صلى الله عليه وسلم، فيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين الذي بارك الله حوله، وقبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، مدينة عربية-إسلامية ترزح الآن تحت الاحتلال الصهيوني، ويتمسّك العرب والمسلمون بعروبتها وبحقوقهم التاريخية فيها، وبالسيادة عليها مهما طال الزمن وبلغت التضحيات، ويقاومون محاولات إفراغها من أهلها العرب، مسلمين ومسيحيّين، وعمليات تهجير أهلها والاستيلاء على عقاراتها والمصادرة لأراضيها، وبناء المستعمرات فيها ومن حولها، وتغيير معالمها الدينية والتاريخية وطمس هويتها العربية، كما يقاومون كل اعتداءات اليهود على أماكنها المقدسة الإسلامية المسيحية، ويعاهدون الله على تحريرها وإعادة بسط سيادة

الأمـة عليهـا . و فلسـطين أرض عربيـة إسـلامية، ومـا طـرأ عليهـا مـن احتـلال وتهويـد، هـو باطـل، وتجـب مقاومتـه وإزالتـه بـكلّ الوسـائل المتاحـة مهـما كلّـف الأمـر وطـال الزمـن، ومعركـة القـدس ومصيرهـا جـزء أسـاس مـن معركة فلسـطين ومصيرهـا، وأنّ كلّ مـا أقيـم مـن مسـتوطنات فيهـا هـو جـزءٌ مـن عمليـة اسـتعمارية اسـتيطانية، لا تكتسـب أيـة شرعيـة قانونيـة أو سياسـية، مهـما مـضى عليهـا مـن زمـن، ولا تضفـي أيّ نـوعٍ مـن أنـواع الشرعيـة عـلى الوجـود الصهيـوني فيهـا.

وتحـت عنـوان : «حتـى لا ننـسى القـدس» بأخبـار اليـوم ٢٧ أبريـل ٢٠١٣ ، كتـب شـيخ الإسـلام فضيلـة الإمـام الأكـبر شـيخ الأزهـر الشريـف د.أحمـد الطيـب : «قـال الحـق سـبحانه وهـو أصـدق القائلـين {**سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَيْـلاً مِّـنَ المَسْـجِدِ الحَـرَامِ إِلَى المَسْـجِدِ الأَقْـصَى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـا إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ البَصِـيرُ**} (الإسراء : ١) .
إن قضيـة العـرب والمسـلمين وهـى القضيـة الأولى فى التاريـخ المعـاصر ؛ كذلـك كانـت – ومـا تـزال – خـلال القـرن المنـصرم ، والآن أيضـاً وقـد مـضى الثلـث الأول مـن القـرن الخامـس عـشر الهجـرى .. هـى قضيـة فلسـطين ، وفى القلـب منهـا قضيـة القـدس الشريـف . فهـى لُـب اللُبـاب فى الـصراع التاريخـى المحتـدم الـذى لا يتوقـف ، ولـن يسـترد عالمنـا إسـتقراره - الـذى هـدده البُغـاة المعتـدون - إلا بـرد المظـالم ، وحفـظ الحقـوق ، وقيـام ميـزان العـدل ، وسـقوط منطـق الغـاب وسياسـة الأمـر الواقـع .
واليـوم - ونحـن نـرى إخواننـا المقدسـيين فى فلسـطين الصابـرة العصيـة عـلى التهويـد - أود أن نتجـه بالإهتـمام المشـترك مبـاشرة :
١- إلى دراسـة إحتياجـات المواطـن المقدسى الأساسـية من إخواننا الفلسـطينيين:

بـدءا مـن حاجـات المعيشـة والصحـة ، والإنتقـال ، والعمـل والحرفـة لـكل عـرب القـدس ، إلى حاجـات النـاشيء الصغـير منهـم فى الكتـاب والكـراس والمدرسـة ، مـرورا بحاجـات الشـباب فى نـواد رياضيـة ، والشـيوخ الكبـار فى رعايـة خاصـة ومؤسسـات إجتماعيـة ، بمـا يوفـر متطلبـات العيـش الكريـم ، وحاجاتـه الأساسـية والتحسـينية .

٢- وأن نـدرس ملامـح الخطـة التهويديـة العنصريـة التـى تسـتهدف إبتـلاع المدينـة كلهـا ، ومحـو سـماتها العربيـة ، و رموزهـا الحضاريـة ، ومؤسسـاتها التاريخيـة ، وحقـوق أهلهـا القانونيـة ، فى تبجـح وإصرار وتواصـل يعينهـم عليهـا حلفاؤهـم الذيـن يلعبـون بالنـار ، ويتجاهلـون منطـق التاريـخ ، وأن نـشرع فى وضـع خطتنـا البديلـة لحمايـة المدينـة المقدسـة ، فى إسـتراتيجية واقعيـة جديـدة ممنهجـة ، نتعلـم فيهـا مـن أخطائنـا وتقصيرنـا ، ونسـتخدم مـا بأيدينـا مـن إمكانـات - وهـى ليسـت بالقليلـة - ونتيقـظ لحيـل الخصـوم ومقولاتهـم التـى يروجونهـا حتـى عـلى شـعوبنا .

وفى هـذا الصـدد أؤكـد موقـف الأزهـر الشريـف مـن المدينـة المقدسـة : فهـى كلهـا - قديمـة كانـت أو جديـدة ، شرقيـة أو غربيـة ، مسـلمة و مسـيحية ، فى نظرنـا ونظـر القانـون الـدولى - أرض مُحتلـة يجـرى عليهـا قواعـد القانـون الـدولى وأعرافـة المرعيـة ، وليـس القسـم القديـم فحسـب الـذى يحـاصر الآن ، وتُقتطـع أجـزاؤه ، و تُنتقـص أطرافـه ، و تُهـدد مقدسـاته فى مسـجدنا الأقـصى ، ومولـد السـيد المسـيح عليـه السـلام ، ولا يحسـبن الخصـوم أننـا نسـينا حقوقنـا ، أو تنازلنـا عنهـا دون مقابـل ؛ فهـم - إن حسـبوا ذلـك - واهمـون .

٣- وأقـول أخـيراً : إن تاريخـاً جديـداً يتشـكل فى المنطقـة ، ورياحـاً جديـدة تهـب علينـا ، ومـا رسـمته خرائـط العـدوان لمـا أسـموه كذبـاً و زوراً و بهتانـاً: «الـشرق الأوسـط الجديـد» تتحكـم فيـه قـوى الصهيونيـة العنصريـة ، ومطامع

السياسات الإستعمارية ؛ لتستكمل استنزاف مواردنا ، وتهدد مستقبل أمتنا ، وتبنى صروحها على أنقاضنا ، هذا الذى ترسمه خرائط العدوان قد اهتز - على أقل تقدير - فى مهب هذه الرياح الجديدة ، ولن يلبث - إن شاء الله - أن تهوى به الريح فى مكان سحيق .

وأثق أن إخواننا الفلسطينيين ، والمقادسة منهم بوجه خاص - وهم من أذكى الشعوب العربية وأكثرها ثقافة - يتنسمون نسمات الربيع الجديدة التى هبت على منطقتنا ، وداعبت خواطر شبابنا ، فتنادى بها رجالنا ، ورصدها خصومنا ، وما زالوا يسعون - عبثاً - إلى إحتوائها وحصارها ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأحب لكل أخ مقدسى - وأنا أشد على يده - أن يقرأ معى من سورة الإسراء : {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} .

كلمة ليست أخيرة

الحقيقـة التـى تحكـم الكيـان الصهيـونى ، وسـتظل تحكمـه : أن العقـول التـى عششـت فيهـا فكـرة «الإرهـاب» والتـى إسـتمتعت بالعمـل الـسرى لم تسـتطع التخلـص مـن ممارسـة الإرهـاب وتدبـير المجـازر اليوميـة والإبـادة ضد الشـعب الفلسـطينى منـذ عـام ١٩٤٨ ، و «صحيفـة سـوابق» دولـة الإرهـاب الصهيـونى طافحـة بالجرائـم التـى تتـوارى أمامهـا خجـلاً جرائـم النازيـة !

وفى دولـة يتحالـف فيهـا «الحاخـام والإرهابى والجـنرال» يتصاعد التطرف الدينـى اليهـودى وضغـوط جماعات «الهاريديـم» و «الكاباليسـت» والمنظمات الشـبابية الإرهابيـة النشـطة مـن أجـل «مملكـة إسرائيـل» بالتنسـيق مـع كبـار الحاخامـات مـن أصحـاب التعاويـذ وتجـار الـبركات التوراتيـة .. مـازال حكامنـا يتحدثـون عـن «السـلام» بينـما الأرض والمقدسـات والكرامـة فى فـم الذئـب و «الراعـى الأمريـكى» يسـوقنا بعصـاه ، وإعلامنـا العـربى الغـارق فى التفاهـة والسـطحية وتزييـف الوعـى بهـدف إبعـاد الشـباب عـن مجـرد التفكـير فى قضيـة «فلسـطين» والإقـتراب مـن أبـواب القـدس المخضبـة بدمـاء الشـهداء .. هـل صـارت سـيوف العـرب مجـرد حيلـة تراثيـة صدئة فى مضـارب الصحـراء !.. فمتـى نخـرج مـن خيامنـا القديمـة ونوقـظ ضمائرنـا التـى ماتـت عـلى أرصفـة العهـر السـياسى، ومتـى تتوقـف ألسـنتنا الطويلـة عـن الشـجب والإدانـة وإنشـاء قصائـد البطولـة ، وأى الأنهـار يمكنهـا أن تغسـل «عارنـا» وفلسـطين تسـتصرخ «المعتصـم» فـلا تجـد غـير الصـدى .. فهـل صـار «المعتصـم» عبـداً خصيـاً ..!

إن إسـتعادة القـدس عاصمـة فلسـطين هـو إسـتعادة لـشرف وعـزة وكرامـة الأمـة العربيـة ، ومـن واجبنـا جميعـاً ، أن نـدرك مخاطـر وأبعـاد التآمر الصهيـونى وكفانـا عقـد الآمـال الكبـار عـلى أمريـكا - راعـى السـلام - فبإسـم السـلام كـم إرتُكـب مـن جرائـم ومـن مفاوضـات .. لم نأخـذ منهـا غـير المائـدة!

وبعـد .. فهـذه الصـور والمشـاهد هـى جولـة فى دروب المدينـة المقدسـة - إبـان مجدهـا العـربى الإسـلامى - دروب روحهـا الأصيلـة .. كل صـورة توقـظ فينـا مـن الشـجون وكأننـا نجـول فى دروب أرواحنـا نحـن ، ونستسـلم للزمـن الـردىء عندمـا تتحـول كل صـور أمجـاد المـاضى إلى مجـرد ذكريـات !!

عرفه عبده على

الكاتب والمؤرخ

- عضو اتحاد الكتاب .

- نشر له العديد من الدراسات والمقالات بالصحف والدوريات المصرية والعربية .

- تخصص فى تاريخ اليهود فى مصر ، وتاريخ القاهرة ومعالمها ، وأدب الرحلات .

- بدأ الكتابة عام 1987 بنشر سلسلة دراسات تناولت الاختراق الفكرى الصهيونى للمجتمع المصرى وعصر الامتيازات الامريكيه ، والكشف عن نشاط المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ... وبضغط من مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى أجبر على تقديم استقالته من المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .. و وضع على قائمة " الموساد " !! ..
(روز اليوسف فى 28 أكتوبر 1996)

– مساعد مدير مكتبة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة – مدير مكتب كامل زهيري نقيب الصحفيين العرب والمصريين سابقاً .

– مؤلفاته مراجع للمؤرخين الأجانب والباحثين المصريين والعرب ، كما عممت وزارة الخارجية مؤلفاته عن يهود مصر بالسفارات والقنصليات المصرية بالخارج .

أعماله

(1) تهويد عقل مصر ، دار سينا للنشر ، 1989م (نُشــر أيضا حلقات مسلسله بجريدة الوطن الكويتية) .

(2) رحله فى زمان القاهرة ، مكتبة مدبولى ، 1990 م .

(3) جيتو إسرائيلى فى القاهرة ، مكتبة مدبولى ، 1990 م .

(4) وصف مصر بالصورة ، دار الشروق ، 1993 م ، رُشح لجائزة أحسن كتاب فى معرض فرانكفورت الدولي عام 1996 ، يعاد طبعه حاليا باللغـــات الانجليزية والفرنسيه والعربية .

(5) ملف اليهود فى مصر الحديثة ، مكتبة مدبولى ، 1993 م (نُشــر أيضا حلقات بجريدة الشرق القطرية . 1994).

(6) قراءة فى الفكر الإسرائيلى المعاصر (حلقات مسلسلة بجريـدة الشرق القطرية 1994) .

(7) موالد مصر المحروسة ، دار عين للدراسات ، 1997 م .

(8) يهود مصر .. بؤساء وبارونات !.. ، ايتراك ، 1997 م .

(9) القاهرة فى عصر إسماعيل ، الدار المصرية اللبنانية ، 1998 م .

(10) مملكة الأقطاب والدراويش ، هيئة قصور الثقافه ، 1998 م .

(11) رمضان فى الزمان الجميل ، كتاب الجمهوريـــــــة ، ديسمبر 1999 (13 طبعه) .

(12) يهود مصر منذ عصر الفراعنه حتى عام 2000 ، الهيئة المصريـة العامه للكتاب ، 2001 م .

(13) تحالف الحاخام .. والجنرال !.. ، الهيئة المصريه العامة للكتـــاب ، 2002 م .

(14) إيلى كوهين فى دمشق ، كتاب الجمهورية ، طبعتان ، مايو ، يونيـو 2008م .

(15) القاهرة .. رحلة فى المكان والزمان ، تقديم جمـــال الغيطـــانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010م .

(16) يهود مصر .. منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى ، الهيئـــــة العامة لقصور الثقافة ، 2010م .

(17) المحمل وأيامه ، كتاب اليوم ، مؤسسة أخبار اليوم ، أكتوبر 2012م .

(18) أوروبيون فى الحرمين الشريفين .. عالم الكتب ، 2013 .

تحت الطبع

-الإسكندرية .. ذكريات مدينة لا تُنسى